حمل الدّعوة الإسلاميّة

حمل الدّعوة الإسلاميّة

لماذا.....؟ وكيف.....؟ وأين.....؟

ومتى.....؟ ولمن ...؟ وإذا.....؟

الدكتور

عبد الرحيم فارس أبو علبة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ-٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴿١١﴾ ﴾ الرعد.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٩

لماذا حَمْلُ الدّعوة...؟! (١) ٢٣

لماذا حَمْلُ الدّعوة...؟! (٢) ٢٧

لماذا حَمْلُ الدّعوة...؟! (٣) ٣٢

لماذا حَمْلُ الدّعوة...؟! (٤) ٣٦

لماذا حَمْلُ الدّعوة...؟! (٥) ٤٠

لماذا حَمْلُ الدّعوة...؟! (٦) ٤٣

لماذا حَمْلُ الدّعوة...؟! (٧) ٤٨

لماذا حَمْلُ الدّعوة...؟! (٨) ٥٣

لماذا حَمْلُ الدّعوة...؟! (٩) ٥٧

كيف تُحْمَلُ الدّعوة...؟!(١) ٦١

كيف تُحمل الدّعوة...؟!(٢) ٨٥

أين تُحمل الدّعوة...؟!..... ٩٢
متى تُحمل الدّعوة...؟! (١) ١٠٥
متى تُحمل الدّعوة...؟! (٢) ١١١
لمن تُحمل الدّعوة...؟!..... ١١٥
وإذا لم تُحمل الدّعوة...؟!..... ١١٩
الخاتمة..... ١٣٤
دعاء ١٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإن أسئلة تُطْرَح وبحاجة إلى أجوبة تشفي العليل وتروي الغليل، لماذا حمل الدّعوة؟ وكيف تُحمل الدّعوة؟ وأين تُحمل الدّعوة؟ ومتى تُحمل الدّعوة؟ ولمن تُحمل الدّعوة؟ وإذا لم تُحمل الدّعوة على وجهها فماذا يترتّب على ذلك...؟

أسئلة نطرحها للمتفائلين وللمتشائمين من الحركات الإسلاميّة القائمة في عصرنا. فبعض النّاس يرؤن أنّ الحركات الإسلاميّة القائمة، فيها خير وبركة وفيها الكفاية، ويعقدون عليها الآمال بأنّها ربما ستقيم دولة لمليارين من

المسلمين. وستقلب ذلّ المسلمين إلى عزّ، وإنّ غداً لناظره قريب، وهناك من يرى أَنَّ جميع الحركات الإسلاميّة في حكم الإفلاس. ويرى أنّ كلّ حركة أفلست من زاوية غيرِ الزاويّة التي أفلست منها حركة أخرى، وإنْ كان لا يعترف أصحاب هذه الحركات بهذا الحكم الذي يبدو متشائماً، إلّا أنّ الواقع هو مكانك سِرْ. وإلّا فما معنى أنْ لا تصل حركة لتطبيق الإسلام الذي تدعو إليه طيلة قرن أو أقلّ بقليل؟؟!! وما معنى إسلام بلا دولة تطبّقه؟! أليس هو كجسد بلا رأس أو بلا روح؟!

وعلى هذا الأساس يُفْتَرض أنْ يكون حمل الدّعوة، بعد هذا الإخفاق، أنْ يتلافى معه جميع الثغرات والأخطاء، والهفوات والوسائل والأساليب التي صاحبت الحركات قبل هذا المشروع، وأن يجمع برنامجُ حَمَلَةِ الدّعوة الجدد إيجابيّات الحركات الإسلاميّة القائمة. وهذا لا يكون إلّا بعد مراجعات وإعادة نظر للجذور والأصول، مراجعات كلّ حركة على حدة. ولا بدّ من تقييم دقيق يقوم به مَنْ يتمتّعون

بحسٍّ مرهف، وإخلاص خالص، ووعي مستنير، يمثّله قول أمير المؤمنين المشهور: (لست بالخِبِّ ولا الخِبُّ يَخْدَعُني). لستُ بالخِبّ: أيْ لست خدّاعاً. أيْ أنّه يتّصف بالاستقامة والتقوى، وهو الإخلاص الخالص لله تعالى، وهذا ما يردّده المسلم في كلّ صلاة فرض وسنّة ونافلة بعد تكبيرة الإحرام، وقبل قراءة سورة الفاتحة: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام. وهذا المعنى يتلقّاه كلّ إنسان يريد أنْ يدخل في دين الإسلام. (أشهد أنْ لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله). أي لا معبود بحقّ إلّا الله سبحانه. والعبادة معناها: الانقياد لله بالطاعة كما أمَرَ بدون تأويل، وليس كما يريد العبد، والشهادتان تعبّران عن حقيقة وأساس عقيدة الإسلام وهي:

١ – الإيمان القطعيّ بوجوب وجود الله سبحانه خالقا للكون والإنسان والحياة.

٢- الإيمان القطعيّ بأنّ محمد بن عبدالله رسول الله.

٣- الإيمان القطعيّ بأنّ القرآن كلام الله المنزَّل على سيدنا محمد، ﷺ.

إنّ هذه العقيدة تمثّل القيادة الفكريّة لكلّ مسلم، وهي القاعدة الفكرية التي يقيس المسلم عليها جميع الأفكار المطروحة في الحياة الدّنيا.

وأمّا الشقّ الآخر من كلام أمير المؤمنين: (ولا الخبّ يخدعني)، أيْ: لا يستطيع الخدّاع أنْ يمرّر حيله ومكره عليّ لأنني أتمتّع بالوعي والنباهة لأنّ لي أُذُناً واعية، وعقلاً أتّبع به هدى خالقي، وقلباً مطمئناً يعمره الإيمان، ولا يسمح لغير عقيدة الإسلام أنْ يسكنه.

إنّ الإسلام قائم على تقوى الله في الفرد والجماعة والأمّة والدّولة لأنّ المعاد والمآل لله ربِّ العالمين فإمّا الجنّة وإمّا النار.

إنّ طبيعة المبدأ الإسلاميّ أنْ يعمل من داخل النّفس وخارجها في الفرد والجماعة والأمّة والدّولة بالتشريع والإرشاد. وجعل السّيادة للشرع بدافع تقوى الله تعالى. سيادة تشمل الفرد والجماعة والأمّة والدّولة. وهذا من شأنه أن يحافظ على وحدة الأمّة ويحول دون تفكّكها وتفرّقها، لأنّ من يتّخذْ شريعة الله رسالةً له، ويحيا مِنْ أجلها، ويستعدَّ للموت في سبيلها لا يمكنْ أنْ تحدّثه نفسه بمحاربة أو معاداة رسالته، أو التّقصير في حملها، ويكفي للمحافظة على وحدة وقوّة الأمّة سيادة القانون الإلهيّ وحده يلتزم به الأفراد والجماعة والأمّة والدّولة.

إنّ نظرة الإسلام للدّولة أنّها تطبّق الإسلام على أساس أنّها الخادمة للأمّة وليست سيّدة عليها، لأنّ السّيادة للشرع وليست للحاكم ولا للأمّة. وعلى الدّولة أنْ تقوم بتأمين ما يحتاجه الفرد في حياته المعيشيّة، والتعليميّة، والصّحيّة، والأمنيّة في حدود مصلحة الجماعة، وتطبيق أحكام الشرع فتشعر الأمّة أنّ بقاء هذا الحكم ألزم لها من

كلّ شيء فالدّولة هي الضامنة لتطبيق نظام الإسلام الذي يضمن حياة أفرادها، ويوجب عليها القيام بهذه الضمانة، وإذا قصّرت الدّولة في ذلك فالحاكم مهدّد بأنْ لا يشمّ رائحة الجنّة، ولا يحميه من الزلل إلّا تقوى الله تعالى. كما أنّ الإسلام جعل السلطان للأمّة، وهي التي تنيب الدّولة عنها في تطبيق شرع الله. وهي التي تبقى رقيبا على الدّولة في قيامها بواجباتها، وهي التي تحاسب الحكّام. وعليه فالدّولة والأمّة متعاونان ومتضامنان في المحافظة على السّيادة للشرع لأنّهما ينطلقان من تقوى الله تعالى. فتقوى الله هي الفاعلة في وحدة الأمّة. قال ﷺ: **(جدّدوا إيمانكم بقول لا إله إلّا الله)**. رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أبي هريرة. وقال: صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجاه. ورواه أحمد والطبرانيّ، وحسّنه العجلوني في كشف الخفاء. وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات. وروى الطبرانيّ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنّ الإيمان لَيَخْلَق في جوف أحدكم كما**

يَخْلَق الثوب، فسلوا الله تعالى أنْ يجدّد الإيمان في قلوبكم).

إنّ الإسلام نظرته جماعيّة في عقيدته وعباداته وتشريعاته وأوامره. وقد جعل المسلم مسؤولاً عن الجماعة وليس عن نفسه وعمّن يعولهم فقط. قال ﷺ: **(من رأى منكم منكرا فليغيّره...)**. رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري، أيْ حيثما وجد المنكر، وفي أيّ موقع وُجد. وقال ﷺ: **(سيّد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)**. رواه الترمذي والحاكم. وقال ﷺ: **(والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله أنْ يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)**. رواه أحمد والترمذي وحسّنه، إلى غير ذلك من النصوص. فقد جعل الإسلام الاهتمام بالجماعة صنو الإيمان، **(ومن لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم)**. أخرجه الحاكم في المستدرك،

والطبرانيّ في المعجم الأوسط والصغير، والبيهقيّ في الشّعب. ويعضده قوله ﷺ: **(مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى)**. رواه مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير. وقال ﷺ: **(ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم)**. رواه ابن أبي شيبة والبزّار والطبرانيّ عن أنس بن مالك. وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عبّاس: وقوله ﷺ: **(المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم. ويردّ عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم)**. رواه أبو داود عن علي بن أبي طالب برقم (٤٥٣). ورواه النّسائيّ برقم (٤٧٣٤). وأحمد برقم (٩٩٣) بنحوه. وهذه الأحاديث تدلّ على أنّ المؤمن لا يقف عند ذاته وهو ليس أنانياً وهذه الأحاديث مؤيّدة لما ورد في القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ١٠: الحجرات. وقوله تعالى: ﴿لَا

يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ ٢٨ : آل عمران.

مما سبق، نؤكّد أنّ كلّ مسلم في موقع المسؤوليّة عن الجماعة وليس مسؤولاً عن نفسه فقط، وواجبه الدّفاع عن الجماعة، ولو لم يدافع عنها سواه. وإذا فارق الفرد الجماعة، واستقلّ عنها سواء بفرديّته أم مع عصابة فحكمه القتل للحفاظ على وحدة الأمّة كما روى مسلم عن عرفجة: **(من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أنْ يشقّ عصاكم أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه كائناً من كان)**. ولما كانت الأمّة مأمورة بطاعة الدّولة أمراً إلهياً فإنّ للأمر أثراً على الأمّة خوفاً من عقاب الله تعالى، ويظهر الأمر الإلهي في آيات كثيرة، وأحاديث مستفيضة نصّت على وجوب طاعة وليّ الأمر ما دام ملتزما بسيادة الشرع. وقد جُعِلَت جهنّم جزاءً وفاقاً لمن يخرج على السلطان العادل، وسمّاهم البُغاة، وأمر بقتالهم قتال تأديب لا قتال حرب.

قلنا: إن الإسلام يقوم على تقوى الله في الفرد والجماعة والأمّة والدّولة لأنّ المعاد والمآل لله ربّ العالمين فإمّا الجنّة وإمّا النار. وقد جعل الله الرقيب والعتيد يحصيان أعمال الإنسان صغيرها وكبيرها، حسنها وسيّئها. ومن هنا كانت التقوى هي العامل المشترك بين الفرد والجماعة والأمّة والدّولة. وما إرسال الأنبياء والرسل للبشر إلّا ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ ١٦٥: النساء. وأمّا من يقصّر في حمل رسالة الإسلام للعالمين، ولم يبلّغ الإسلام على نحو لافت للنظر فإنّ مصيره مع الخونة لله وللرسول. وقد حذّرنا القرآن الكريم من هذه الخيانة، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾الأنفال. أيْ إنّ كلّ مخالفة لأيّ حكم شرعي قَبِلَهُ المسلم من الله يُعَدُّ خيانة لله ولرسوله. فالنّهي منصبّ على عدم خيانة الله فيما ورد في القرآن الكريم، وعدم خيانة الرّسول فيما شَرَّعه لنا في

القرآن والسّنّة، لأنّ ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ ٨٠: النساء.

وخلاصة القول: فإنّ المسلم ليس سنّاً في دولاب، بل هو مسؤول عن نفسه وعن الجماعة وحسبه أنْ يكون ربّنا هادياً ونصيراً له. ولكن من لم يعرف قدر نفسه، وانطوى على نفسه، وغلب عليه العُجْبُ بعقله فاحتكم إليه مستقلّاً عن الشرع فلا يلومنّ إلّا نفسه. ﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ الفرقان: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الجاثية. وقال ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتّى يكون هواه تبعا لما جئت به)**. رواه مسلم في الأربعين النوويّة، الحديث الحادي والأربعون، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص– اتّباع النبي ﷺ وقال حديث حسن صحيح، وقال ابن حجر: رجاله ثقات وقال ﷺ: **(لا يؤمن**

أحدكم حتّى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). رواه البخاري ومسلم. وهكذا يجعل الإسلام التقوى أيْ مخافة الله هي المحرّك للفرد وللجماعة وللأمّة وللدولة، فلا يَعْقِل المسلم ولا يميل للأشياء إلّا كما قرّره الله ورسوله من تشريع، فيصبح المسلم الملتزم، إسلاماً يمشي في الطريق، وهذه هي الشخصيّة الإسلاميّة المميزة.

• إنّ للنفس الإنسانيّة ثلاثة أنواع أو لها ثلاث حالات:

النفس الأمّارة بالسوء، وهي العدوّ الأوّل للإنسان قبل شياطين الجنّ والإنس: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ ٥٣: يوسف، وأمّارة هنا: صيغة مبالغة في الأمر بالسوء.

والنفس اللوّامة: وهي التي استحقّت أن يُقْسِمَ الله بها، وهي التي تلوم صاحبها في الحياة الدنيا لِمَ لَمْ يستكثر من الخير في طاعة الله، وَلِمَ لَمْ يستكثر من البعد من نواهي الله تعالى.

والنفس الثالثة هي التي تستشعر الندم في الآخرة. أي الصحوة والندم بعد فوات الأوان، فلا ينفعها: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ الفجر. ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾ الفرقان.

والسعيد من عرف نفسه في الدنيا من أيِّ نوع هي: أو في أيّ حالة عليها نفسه حتّى يصحّح مسيرته في الدنيا لينال حُسْن العاقبة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ الحشر. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ الأنفال.

كلّنا يعلم أنّ البشريّة تمضي في حياتها حتى آخر الزّمن دون حاجة إلى أنبياء ورسل معصومين. وكفى البشريّة

هـدى أنْ تحمـل أمّـة الإسـلام رسـالة هـدى لهـا حتّـى نهايـة الزمن، إلى يوم الدين.

وكلّنـا يعلـم النتيجـة المحسوسـة الملموسـة للحضـارة التـي خلّفهـا العقـل البشـري عنـدما اسـتقلّ عـن ربّـه متمثّلاً بالديمقراطيـة الرأسـماليّة، فكانـت حتميّـة الفسـاد. وللخـروج مـن هـذا المـأزق الفظيـع لا بـدّ مـن الرجـوع إلـى تنظـيم ربّ العالمين لحياة الإنسان، وينحسر دوْر العقل في فهم ما نزل بـه الـوحي مـن عنـد ربّ العـالمين. دون أن ينـتقص مـن حـقّ خالقه، أو يشاركه في التشريع.

وهنا تأتي أهمّيّة دور الدّعاة، ومدى التزامهم بالفكرة والطريقة التي جاء بها القرآن الكريم والسّنّة النبويّة الشّريفة، نسأل الله أنْ يهدينا سبلنا. فهو مولانا ونعم النصير.

لماذا حَمْلُ الدّعوة اليوم...؟!(١)

• لأن الحقّ عزّ وجلّ عندما ختم الأنبياء، وقطع الوحي، لم يترك النّاس هملاً، بل أسند مهمّة الأنبياء والرّسل إلى خير أمّة أُخرجت للنّاس لتقوم بدورها في نشر الهدى، وإسعاد البشريّة بميراث آخر الأنبياء وخاتمهم. ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ ١٩: الأنعام. أيْ: ومن بلغه القرآن ينذر به. وجعلها أمّة تشهد على الخلق يوم الدّين. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ١٤٣: البقرة. وقال تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ٧٨: الحج. ومن يقصّر بواجبه لكسل أو لضعف، أو لعلل وخلل في فهمه وسلوكه فإنّ الله له بالمرصاد، ومن يقصّر بواجبه فسيحاسبه الله حساباً عسيراً على تقصيره، وربما يصل الحساب العسير إلى حدّ الاستبدال. وسوف

يقول الرسول، ﷺ، يوم الدّين: **(سحقا سحقاً لمن غيّر وبدّل)**. رواه البخاري برقم ٧٠٥٠ عن سهل بن سعد الساعدي ورواه أبو سعيد الخدري. وعليه فلا يعني أنّ ختم نزول الأنبياء رفع الوصاية عن البشر وتسويد العقل الإنسانيّ. ولا يعني بلوغ الإنسانيّة رشدها أن تستقلّ عن خالقها وتنتقصه الأمر وتحدّ من سلطته إلى الخلق، لأنَّ هذا يعني فصل الدّين عن الحياة، وهي فلسفة ثبت بالوجه القطعيّ فشلها على الكرة الأرضيّة في العصر الراهن، فملأت الأرض جوراً وفساداً وشقاء وتعاسة للإنسان حيثما حلّ، وأنّى وجد. فعلاقة الإنسان بالإنسان لابدّ أن ترجع إلى خالق الإنسان. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ ٥٤: الأعراف. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ ١٥٤: آل عمران. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ ١٢٣: هود ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ ٣١: الرعد.

وعليه، فإنّ الفِرَقَ والجماعات والأحزاب التي نهضت لتتولّى مهمّة الهداية من خير أمّة أخرجت للنّاس، متسلِّحة بالكتاب والسّنّة فالأمر الطبيعي أنْ يكون ائتلافها على ما تسلّحت به. والإسلام يوحِّد ولا يفرِّق، فإذا عَلَتِ الخصومة بين الفِرَق وسادت الفُرْقَة فاعلم أنّ الخلل في الفِرَق والجماعات لا في الإسلام الذي تسلّحت به.

لقد منح الله السلطة للنّاس، واختصّ سبحانه بالسّيادة، بسيادة شرعه على النّاس وعلى السلطان. وأسند الحكم للبشر ليحكموا بما أنزل الله. والنّاس يختارون حاكمهم، ويراقبونه ويحاسبونه بما بلغهم من تشريع، ويعزلونه إن انحرف عن سيادة الشرع لأنّه الصراط المستقيم من عند ربّ الأرباب. وما هدى الله سبحانه النجدين للإنسان إلّا ليميز الشكور من الكفور. أليست غاية الخلق هي عبادة خالقهم؟! بلى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾الذاريات. ثمّ أليس الدّين كاملاً وتامّا؟ بلى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ ٣: المائدة. فإذا انتصر الكفار على المسلمين في غفلة من الزمن فتلك الأيّام يداولها الخالق بين النّاس. وهنا يأتي دور الأحزاب والجماعات والفِرَق لتعيد الحقّ إلى نصابه، ولو باستلال السيوف في وجه المعاندين والمجاهرين بالكفر البواح، الكفر الصراح.فإن استكانت هذه الفِرَق والأحزاب والجماعات، وركنت إلى الذين ظلموا قولاً أو عملاً، وَأَنِسَت إليهم، ودخلت في حمايتهم، وانتشرت في ظلّهم، فاقرأ عليهم السلام، وقطعاً ستمسّهم النّار، ومالهم من دون الله من أولياء ثمّ لا يُنصَرون.

ماذا حَمْلُ الدّعوة اليوم...؟!(٢)

لأننا نعيش في عالم يعلن الحرب على الله وعلى كتابه وعلى رسوله وعلى من يعتنق دين الإسلام، وهي حرب صليبيّة لا تقارن معها الحروب الصليبيّة التي قامت على إراقة دماء المسلمين في عقر دارهم لترحيل أزمة أوروبا الدّاخلية للخارج. أمّا اليوم فهي حرب صليبيّة عالميّة أضيف إلى إراقة الدمّاء هيمنة ثقافيّة خلقت فتنة أكبر وأشدّ من القتل حتّى صار كثير من المسلمين يفكّرون برأس أعدائهم الكفار رغبا ورهبا. فما فعلته أوروبا العجوز والولايات المتحدّة الأمريكية أخيراً في الشرق الأوسط، فيما أطلقوا عليه الربيع العربي زوراً وبهتاناً فقضوا على كلّ قوّة كانوا يديرونها خوفاً من أن تتحوّل في يوم من الأيام إلى أيدي المسلمين، وهذه الأحداث في سوريا وليبيا واليمن والعراق وأفغانستان، وتونس والمغرب ومصر وفي لبنان والأردنّ والجزائر شاهدة تئنّ إلى ربّها.

وها هي فلسطين بمقدساتها جرح مفتوح منذ ثلاثة أرباع القرن، وربما كانت هذه أبشع جرائم الغرب الكافر ضدّ المسلمين، وها هي الشيشان وما فعلته بها روسيا بوتين شاهد عيان حتى صيّروا المسلمين جنوداً تحارب بهم أوكرانيا، وها هي أوزباكستان وتركستان وطاشكند وسوريا وأفريقيا تشكو إلى ربّها من روسيا بوتين. وها هي البوذيّة سُخِّرت لقتل المسلمين في شرق آسيا، وحكّام المسلمين يعقدون معها الخناصر لأنّهم أدوات الغرب الكافر ضدّ شعوبهم. وها هم الهنود السيخ في الهند يعملون على إبادة مائتي مليون مسلم من مواطنيها، وها هي الصين الوثنيّة تفتك بمسلمي الروهينجا وتحرقهم أمام كميرات العالم. ولا شكّ إنّ القلم ليعجز عن وصف حال الإسلام والمسلمين في العالم كلّه، وهنا لا ينفع اللطم والعويل والشجب والاستنكار، فحكّام المسلمين يزعمون أنّهم مسلمون، وقلوبهم أقسى من قلوب الشياطين، فهم شياطين بثياب إنْس. وهم جزء من الهجمة الصليبيّة الحاقدة على الإسلام

والمسلمين، ولكنّ الأيام دول. والقانون الفيزيائي المشهور ينصّ على أنّ لكلّ فعل ردّ فعل مساوياً له في القوّة ومعاكساً له في الاتّجاه. وهو يفرض على المسلمين أن تكون ثورتهم الفكريّة على مستوى هذه الهجمة الصليبيّة الجديدة بكلّ أبعادها. وعقيدة المسلمين قادرة وكافية لخلق جيل مؤهّل لهذه المهمّة الجسيمة، وإن كانت مهمّة لتنوء بها الجبال، وثورة المسلمين لا بد أن تكون عاصفة تحرق الفساد في العالم كلّه، وتنير الطريق لتهدي مَنْ في الأرض لتعود إلى هدي ربّها، فلا تقوم على الانتقام بل تقوم على نشر الهدى بين الأنام، وتحرق كلّ من يعترض سبيلها.

إنّ الإنسان المسلم، فيه طاقة جبّارة لمقارعة الباطل وَدَحْرِه. لأنّه يستمدّ العون من خالق الإنسان والكون والحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ محمد. ولهذا قامت دعوتنا لتعرّي الوافد من أفكار الصليبيين الجدد وفي مقدّمتها الديمقراطيّة، والعلمانيّة والحداثة والقوميّة والوطنيّة. مع أنّه ثبت بالوجه

القطعيّ سوء رعايتها لأهلها في بلادهم، وجلبت لهم التعاسة والشقاء، وتحمل في طيّاتها بذور التفكّك والانهيار في داخل معتنقيها وعلى رأسهم أوروبا والولايات المتّحِدة وروسيا والصين.

إنّ الفتنة التي نعيشها اليوم هي من صنع الكافر المستعمر الأوروبي ومنه الولايات المتّحِدة الأمريكية. وهي فتنة مالها إلّا أولو العزم من المؤمنين الذين يجعلون القضاء على هذه الفتنة قضيّة مصيريّة في حياتهم، لنصرة دين الله، ومالها إلّا العمل الجماعي الذي أمر به ربُّ العزّة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ آل عمران، وما لهذه الفتنة إلا الذين يجعلون نيل رضوان ربّهم والجهاد في سبيله فوق كلّ القيم المادّية والمعنوية التي ينشدها الإنسان عادة في الحياة الدنيا. ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ التوبة. وما لهذه الفتنة الكبرى إلّا المخلصون الذين تجارتهم لن تبور لأنّها مع الله، ولله. ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ ١٦٠: آل عمران.

لماذا حَمْلُ الدّعوة الإسلاميّة اليوم.....؟!(٣)

لأنّ العالم اليوم يسير نحو الدمّار الكامل والشامل لإفناء البشريّة، بل لإفناء الأرض وما عليها، وهي نتيجة حتميّة للحضارة التي صنعها الإنسان، فصنعوا الأسلحة المبيدة من أجل أن يستعبد الإنسان أخاه الإنسان ليس غير. وها نحن اليوم نسمع نغمة نشازاً تنادي بإفناء ثلث سكان العالم، أي قتل ثلاثة مليارات إنسان. وهم على ذلك قادرون، ولهم ماضٍ يشهد على ذلك. ومثلاً فرنسا قتلت عشرة ملايين من المسلمين في الجزائر وحدها، لتبقى مستعمِرةً لها. وبريطانيا التي تقع على جزيرة صغيرة في المحيط الأطلسي قتلت من المسلمين في العالم ما يزيد على هذا العدد بكثير بل قامت بحروبها القذرة بإجبار مسلمي الهند والمغرب لقتال إخوانهم المسلمين في كلّ مكان، وما الحروب الأوروبية العالمية الأولى والثانية والتي استمرّت تسع سنوات إلّا بتسخيرها المسلمين لهذه المهمات القذرة، وأمّا

أمريكا فحدّث ولا حرج لأن جرائمها في المسلمين وفي غير المسلمين لا تزال لم تشف جراحهم.

وإذا نظرنا إلى القِيَم التي خلّفتها الحضارة التي صنعها الإنسان اليوم لا تجد فيها ما يستحقّ المحافظة عليه، كتشريع اللواط والسحاق في الولايات المتحدة: فهل هو ما يستحق المحافظة عليه؟! والجنس البهيميّ، والمخدّرات، والتّجارة بالبشر، ومصّ دماء الشعوب، ونشر الجهل والأمراض الفتّاكة من أجل كسب مادّي تدرّه تجارة بيع الأدويّة، والفقر الذي جعل أكثر سكان الأرض تحت خطّه، وخمسة بالمائة من سكان الأرض يتحكّمون بخمس وتسعين بالمائة من السكان. والظلم والقهر والاستبداد بمعناه الحقيقي، وغياب العدل، والكيل بمكاييل متعدّدة، والاستعمار بألوانه المختلفة كلّ ذلك صار عنوان المرحلة الزمنيّة التي نحياها فهل هذه قيم تستحق المحافظة عليها؟! وفي مجال السيّاسة ترى تفشي الكذب والغاية تبرّر الوسيلة لتحقيق مآرب الدول المستعمرة. والعنصريّة وهي بدافع

غريزي متفشّية في الدول التي يطلق عليها أنها راقية وعلى رأسها أوروبا وأمريكا. فهل هذه من القيم التي تستحق المحافظة عليها؟!. والخلاصة: إنّ الشرّ والفساد بما تحمله هذه الألفاظ من معانٍ هو نتاج الحضارة التي صنعها الإنسان في القرنين العشرين والواحد والعشرين. وهذا وغيره كثير يستدعى التغيير الطبيعي لتحويل حياة الإنسان في العالم مائة وثمانين درجة، فبدل أنْ يشنّ العالم الحرب على الله، عليه أن يتحوّل إلى طاعة ربّه، ذلك لأنّه لا يرد أنْ يكون هذا التغيير من الإنسان الذي يتمرّغ بالوحل والشقاء وفيه صفات النقص، والعجز، والاحتياج، والمحدوديّة، بل لابدّ أنْ يكون التغيير على أسس من خالق الإنسان والكون والحياة أي من الإسلام كما نزل على سيّدنا محمد ﷺ، وكما تركه على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلّا هالك. ففي الاعتقاد لا يُكْرَهُ إنسان على تغيير دينه، ولا يحتقر إنسان على معتقده، ولا يُجْبر ولا يُسَخَّر على القتال تحت راية الإسلام، ولا يُحمَّل ما لايطيق بل أكثر من ذلك

فيكفل الإسلام لكلّ من يحمل التابعيّة الإسلاميّة الحاجات الأساسيّة السِّت وهي: المأكل، والملبس، والمسكن، والصّحة، والتعليم، والأمن.

وفي الناحية الاجتماعية يعامل الإنسان كإنسان لا فرق بين أبيض وأسود، ولا بين مسلم وكافر، والكفاءة هي عنوان تعيش فيه الإنسانيّة في ظلّ الإسلام. ولا مجال هنا لاستقصاء معالجات الإسلام لجميع جوانب حياة الإنسان لكنّ التاريخ يشهد. وعلى حملة الدّعوة أنْ يعملوا لصنع الأحداث ليأتي اليوم الذي يتوسّل العالم فيه لنظام ربّ العالمين لإحقاق الحقّ، وإسعاد البشريّة بآيات الله إذْ ترى الأرض هامدة فإذا أنزل الله عليها نظامه الإلهي اهتزّت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج. ودوْر الإسلام قادم لا محالة وفي هذا القرن بالذات لحلّ عقدة الشّقاء الذي صنعها الإنسان باستقلاله عن ربّه، واعتزازه بعقله، وما على المسلمين اليوم إلّا أنْ ينهضوا ويُؤهِّلوا أنفسهم للاضطلاع بدورهم المرتقب والمنشود.

ماذا حَمْلُ الدّعوة اليوم...؟!(٤)

لأنّ معركة الصراع بين الحقّ والباطل لاتنتهى إلّا بانتهاء الحياة الدنيا. والمسلمون المؤمنون نذروا حياتهم لقول الحقّ حيثما كانوا، وأنّى وجدوا لا يخشون في الله لومة لائم، ولابطش ظالم، ويبايعون الله على ذلك حتّى تفنى آجالهم. ونسأل الله العون وأنْ نكون منهم. ومن المعلوم أنّ الحقّ لا يلتقي مع الباطل إلا في ساحة الصراع، وأنّ الباطل لا يظهر إلا في غفلة الحق عنه فَلِشَحْذِ الهمم لنصرة الحق بنصرة دين الله قامت دعوتنا ولنا في وصيّة الرسول ﷺ لعبد الله بن عبّاس، رضي الله عنهما. نبراسٌ نهتدي بهديه: عن أبي العبّاس عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: كنت خَلْفَ النبيّ ﷺ يوماً، فقال: **(يا غلام. إنّي أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهَك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أنْ ينفعوك بشيء لم**

ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أنْ يضروك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام.وجفّت الصحف). رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. (سنن الترمذي ٢٥١٦). ورواه أحمد في مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عبّاس ابن عبد المطلب.

وفي رواية الإمام أحمد رقم (٢٦٦٩): **(احفظ الله تجده أمامك: تعرّفْ على الله في الرخاء يعرفْك في الشّدّة، واعلم أنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أنّ النّصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسرا)**.

فالباطل لا يندحر بالدّعاء، ولا بقراءة القرآن وبالسّنّة النبويّة بل بأعمال المؤمنين المخلصين الذين يشترون الجنّة بأنفسهم وأموالهم، ويقولون الحقّ لا يخشوْن في الله لومة

لائم ولا عذاب ظالم. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، روى حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **(والذي نفسي بيده لتأمُرُنّ بالمعروف وَلَتَنْهُونّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أنْ يبعث عليكم عقاباً منه ثمّ تدعونه فلا يستجاب لكم)**. رواه أحمد والترمذي وحسّنه.

وروى هيثم قال: **(سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: ما من قوم يُعْمَلُ فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أنْ يغيروا، ثم لا يغيرون إلّا يوشك أنْ يعمّهم الله منه بعقاب)**. أخرجه أبو داود برقم (٤٣٣٨)، والترمذي، وابن ماجة، وأحمد.

وروى أبو داود في سننه برقم (٤٣٣٧) ما رواه عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله، ﷺ، **(...كلّا والله لَتَأْمُرُنّ بالمعروف ولَتَنْهَوُنّ عن المنكر، ولتأخذنّ على يد الظالم، ولتأطرنّه على الحقّ أطرا، ولتقصرنّه على الحقّ قصراً، أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم**

علـى بعـض، ثـمّ ليلعنـنّكم كمـا لعـنهم). وانظر حديث رقم (٤٣٣٦). ورواه الترمذيّ، وابن ماجة من طرق أخرى.

لماذا حَمْلُ الدّعوة اليوم.....؟!(٥)

لأنّ حَمَلةَ الدّعوة في العصر الرّاهن لم يحملوا الدّعوة على أصولها. ثم ما الذي جعل سحرة فرعون يعلنون إسلامهم دون الوقوف على رأي طاغية زمانهم، وهم في حضرته ودون استشارته؟ مع أنّهم ممثلوه في تحدّي موسى عليه السلام. أليست هي الدلالة القطعيّة على أنّ ما أتى به موسى من قوّة خارقة لا يستطيع إنسان على وجه الأرض أن يأتي بمثلها؟!!

ثمّ ما الذي جعل سحرة فرعون يثبتون على إيمانهم رغم تهديد طاغية زمانهم. الذي كان يذبحّ أبناءهم ويستحيي نساءهم على تقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وعلى صلبهم على جذوع النخل ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ الشعراء، ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ

ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ طه.

أليس موقف سحرة فرعون هذا نابعاً من الإيمان القطعيّ؟؟ مع أنّ المعجزة المادّية لحظيّة غير مستمرّة. ومعجزة القرآن دائمة وأقوى وأدوم من المعجزة المادّية اللحظيّة.

وهذا هو أبو ذرّ الغفاري (جندب بن جنادة الغفاري) رضي الله عنه، أعلن الشهادة أمام رسول الله ﷺ فأمره أنْ يذهب إلى قومه لينشر عقيدته الجديدة بين قومه فيأبى أنْ يذهب إلى قومه حتّى يشهر إسلامه على الملأ أمام أعداء الله ورسوله عند الكعبة حيث ترقد آلهتم في جوفها. فناله من الأذى من صناديد قريش ما ناله في سبيل التحدّي، بل استعذب هذا الأذى مع أنّه لا يعرف من الإسلام سوى الشهادتين؟!! أليس عامل الثبات والتحدّي سببه اليقين القطعيّ بأسس أركان عقيدة الإسلام الثلاثة: التوحيد، وأنّ القرآن من عند الله، وأنّ محمداً رسول الله؟!! فهل كان

حَمَلَةُ الدّعوة في العصر الرّاهن على شاكلة أبي ذرّ؟!! وهل يعقل أنْ نحظى بنصر الله ونحن لسنا سائرين على شاكلة أبي ذرّ؟!! أليس الاستبدال ماثلاً أمام أعيننا؟! وما يجري في العالم– في العراق وسوريا وليبيا واليمن وفلسطين ومصر. هل يمكن أنْ نُسَمّيَهُ استبدالاً؟! إنّ من يؤمن حقّ الإيمان بقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ النساء. لا شك أنّه يحذو حذو سحرة فرعون، وحذو جندب بن جنادة الغفاري. أمّا حَمَلة الدّعوة في هذا العصر فهم يجعلون همّهم الأول تأمين سبل العيش أوّلاً وما بقي فللوعظ والإرشاد فهيهات هيهات أنْ يمنّ الله بنصره على هؤلاء!!

لماذا حَمْلُ الدّعوة اليوم...؟!(٦)

لأنّ حَمَلَة الدّعوة في العصر الرّاهن يشتركون عمليّاً– رغم اختلاف مشاربهم– في تقديس الكتلة التي ينتمون إليها ويظهر ذلك جليّاً عندما يتركهم أحد أعضائها، أو هم يتركونه لمخالفة قام بها.

فترى الخصومة تصل حدّ العداء عند بعضهم، ومن يتتبّع وسائل التواصل الاجتماعي يقف على هذه الحقيقة. ولا أستثني أيّ حزب أو أيّ جماعة. ذلك لأنّ هذه الفِرَق ترى نفسها تحمل الإسلام، ومن يخرج من جماعتهم فكأنّه خرج من جماعة المسلمين. وإذا نقد هذا العضو جماعته أو حزبه فكأنّما نقد الإسلام، حتّى قيل (الدّعوة كالكير تنفي خبثها)، وهذا جهل مركّب. فمن لا يميّز بين الدين المعصوم وبين القائمين عليه من النّاس فاقرؤوا عليه السلام، لأنّه لا يصلح أن يصنع التغيير. فالقيادة عند هذا الحزب أو الجماعة في واقعها هي قيادة شخصيّة. وليست قيادة

فكريّة. وهذا يشكّل خطراً على فهم الإسلام، وقد يصل إلى الشرك بالله حيث يطيع العضو رئيسه فيما يغضب الله عزّ وجلّ. قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ ٣١: التوبة. فاليهود اتخذوا علماءهم، واتّخذ النصارى رهبانهم كالأرباب حيث أطاعوهم في كلّ شيء لأنّ التحليل والتحريم هو لله وحده: قال سبحانه وتعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ ١٥٤: آل عمران. وقد سُئِلَ حذيفة، رضي الله عنه، عن آية التوْبة: هل عبدوهم؟ قال: لا، ولكن أحلّوا لهم الحرام فاستحلّوه، وحرّموا عليهم الحلال فحرّموه. روى الترمذي عن عَدِيّ بن حاتم قول الرسول ﷺ: **(أَمَا إنّهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنّهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه)**. وآية التّوبة ليست خاصّة باليهود والنصارى لأنّ بقيّة الآية: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا

﴿وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ التّوبة، وهذا الإخبار يفيد سبب الحكم على اليهود والنصاري بأنّهم كفار. وسياق الآيات اللاحق: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ التوبة. يؤكد سبب تكفير اليهود والنصارى.

إنّ هذه الآيات موجّهة للمسلمين ليتّعظوا بالشرك الذي مارسه من قبلهم من اليهود والنصارى حتّى لا يقعوا فيه، فالتحليل والتحريم هو لله وحده. فلا عذر لمن ينفّذ معاصي وجرائم يأمر بها الرؤساء في الوظيفة. ويقولون (عبد مأمور). لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨﴾ القصص. أيْ إنّ الرئيس والمرؤوس شركاء في الخطيئة. ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦﴾ القصص. وهو لِيَمُنَّ الله على الذين استُضعفوا في الأرض ليجعلهم أئمّة

ويمكّن لهم في الأرض ويجعلهم وارثين للحكم. فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وأَمْرُ وليّ الأمر ينبغي أن يكون تابعاً لأمر الله وإلّا فمن يخالف أمر الله- ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ١٠ : الحجرات- يُحاسِبهُ اللهُ في الآخرة على أنّهم شركاء لله والعياذ بالله، قال عبد الله بن المبارك.

وهل أفسدَ الدّينَ إلّا الملوك وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها

إنّ الحركات الإسلاميّة في هذا الزّمان يسودها العقليّة الذّرائعيّة، والفكر التبريري، والسخرية من الآخرين لأنهم يملكون الحقّ المطلق، والصواب المحض، وهم في وهم إذْ يصوّرون أنفسهم أنّهم الممثّلون الشرعيون للإسلام. وهنا ترى تعدّد الممثّلين للإسلام بتعدّد الحركات. وترى سلوك الجماعة بإدارة المسؤولين مُبَرَّراً وإن خالف الإسلام. وهذا السلوك ليس فردياً بل ظاهرة يلمسها الأعمى والبصير حيث تتعايش هذه الحركات مع أنظمة تحكم بغير ما أنزل الله، بل قد تشاركها في الحكم في الوزارة أو الأعيان أو النّواب

فتشترك في تشريع قوانين لاتمتّ للإسلام بسبب. ونجد بعض أفراد هذه الحركات يعتلون منابر الخطابة في المساجد وغيرها فاصلين الشرع عن الحياة، داعين للحكّام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله بالتوفيق وطول العمر معتبرينهم أولياء أمور المسلمين رغم أنّهم خطّ الدفاع الأول للكافر المستعمر.

ماذا حَمْلُ الدعوة اليوم....؟! (٧)

لأنّ الأمّة الإسلاميّة بلغت الدّرك الأسفل من الانحطاط، ولا بدّ من العمل لإنقاذها من وهدة السقوط الفظيع التي تعيش فيه. نَعَمْ: الدّرك الأسفل من الانحطاط. وإلّا فما معنى تنافس المسلمين على دخول الوزارة والأعيان ومجالِس النوّاب في جميع أقطار العالميْن العربي والإسلاميّ، وإنفاق الأموال الطائلة لبلوغ مقعد في حكم يحارب الله ورسوله والمؤمنين؟!! وما معنى تنافس المسلمين على دخول الجيش والأمن والمخابرات وما أُعدّت هذه الأجهزة إلّا لِتُجْهِزَ على الإسلام ولتسيّر المسلمين في نفق النفاق والكفر؟؟!! وما معنى تهافت المسلمين على الوظائف الحكوميّة وهي تعلم علم اليقين أنّها تعيش في مستنقع أنظمة لا تحكم بما أنزل الله فهي تطيل عمره؟ وما معنى تهالك المسلمين من جميع أقطار العالميْن العربي والإسلاميّ على سلك التعليم وهم يعلمون علم اليقين أنّ

الأنظمة تنفذ مناهج لمحاربة الله ورسوله، وهي من إملاءات الكافر المستعمر؟!! وما معنى تسابق كتّاب المسلمين على تأليف كتب تصف دينهم الإسلامي بالوسطية وتقسيمه إلى سياسي وراديكالي ليسيروا في ركب الكافر المستعمِر؟!! وما معنى انخراط المسلمين في تنفيذ نظام اقتصادي يغاير النظام الذي يُسْعِدُ البشريّة؟!! وما معنى تهافت المسلمين على الربا بنسب مرتفعة جداً في أقطار العالميْن العربي والإسلاميّ وهم يقرؤون قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا﴾ ٢٧٥: البقرة. وهم يتلون قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ البقرة؟!! وما معنى انتشار بنوك الرّبا في أقطارٍ جلّ سكانها من المسلمين؟!! وما معنى انتشار بيوت الدّعارة وممارستها في بلاد المسلمين؟!! وما معنى انتشار محلّات بيع الخمور في جميع أصقاع بلاد المسلمين؟!! وما معنى انتشار

المخدّرات وزراعتها وتصنيعها في بلاد المسلمين؟!! وما معنى أن يكون أصحاب الشهادات العليا في الشريعة الإسلامية يتهافتون على الوظائف التي تغضب الله تعالى وتجعلهم يسيرون في ركب الحياة العلمانيّة. وفي خطبهم يفصلون الدين عن الحياة. وفي عملهم يأتمرون بأوامر دولة علمانيّة تحارب الله ورسوله. فيوقّعون على الربا في صناديق الأيتام. وما معنى.. وما معنى... وما معنى... فإنّ القائمة تطول في إحصاء الموبقات التي يمارسها المسلمون رغباً ورهبا. وما معنى تأسيس حركات إسلاميّة بالاتفاق مع دول تحكم بنظام كفر، فكيف يجوز لنا أنْ نسمّيها إسلاميّة مع رضاها بحكم الكفر مقابل أنْ يُلقمها الحاكم عدّة وظائف لأعضاء منها؟!! فانظر أخي المسلم كيف تحولّت خير أمة أخرجت للناس إلى أحط أمّة بلغت ملياريّ نسمة بدون رأس.

إنّ هذا الواقع المرير الذي يعجز القلم عن وصفه يدفع المؤمن الغيور على دينه وأمّته وأعراض المسلمين،

وعزّ المسلمين أنْ ينهض ويرتقي المرتقى الصعب لينهض بأمّته وينقذها من وهدة السقوط الفظيع لأنّ الله كلّف المسلمين بحمل الدّعوة، وجعل أجرهم منه عزّ وجلّ. وهدّدهم إنْ قصّروا بالعذاب الأليم. لذلك لا بدّ من العمل الدؤوب الجماعي لإنقاذ أمّة الإسلام ثم إنقاذ البشرية من سوء ما تعيش فيه.

وأخيراً: هل للعلاقات الإسلاميّة وجود في المجتمع الإسلامي في أيّ قطر؟! أليست العلاقات الرأسماليّة هي التي حلّت محل العلاقات الإسلاميّة؟!

وهل لروابط الأخوّة الإسلاميّة بين الشعوب المسلمة وجود؟! أليست روابط الوطنية والقوميّة والعصبيّة القبلية هي التي حلّت محل رابطة الإيمان؟!

والحقيقة المرّة أنه لم يعد بين المسلمين من أفكار الإسلام إلّا أحكام العبادات والجنائز والدعاء على سوء فهم لها.

وأنّ الذين يرتفع ولاؤهم للإسلام على كل ولاء قد قلّت نسبتهم في الأمّة، وأنّ الذين يجعلون في رأس سُلَّم القيم حبّ الله ورسوله والجهاد في سبيله قد صار أندر من الكبريت الأحمر.

ألا يدل هذا على مدى انحطاط الأمّة؟! أليس هذا الواقع المرير يدلّ على بُعْدِ الأمّة بمجملها عن مفاهيم الإسلام؟!

فهلا أدركنا لماذا وصلنا إلى الحضيض في الهبوط الروحي، والتخلف المادّي، والتأخر الفكري، والانحطاط السياسي؟!

وهلّا أدركنا لماذا يجب حَمْلُ الدّعوة الإسلاميّة الآن؟!

لماذا حَمْلُ الدعوة اليوم....؟! (٨)

للأجر العظيم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فصلت. هذه الآية عامّة في كلّ من دعا إلى الله. والدّعوة إلى الله مهمّة كلّ مسلم وليست خاصّة بالتكتّلات ولا بالعلماء والمجتهدين. بل عامّة لكلّ مسلم. والإيمان لا يبقى حبيساً بل من طبيعته أن ينتقل إلى الآخرين. والاستفهام في الآية للنفي. أي لا أحد أحسن ممّن دعا إلى الله. والآية تبيّن منزلة الدّعوة إلى الله، وفضل الدّاعية. قالﷺ: **(طوبى لمن رآني وآمن بي، ثمّ طوبى، ثمّ طوبى لمن آمن بي ولم يرني)**. رواه أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري برقم (١١٦٧٣).

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنّ رسول اللهﷺ، خرج إلى المقبرة فقال: **(السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إنْ شاء الله بكم**

لاحقون، وودت أنّا قد رأينا إخواننا، قالوا: ألسنا إخوانك يا رسول الله؟! قال: أنتم أصحابي، وإخوانُنَا الذين لم يأتوا بعد، وأنا فرطهم على الحوض، فقالوا: يا رسول الله، كيف تعرف من لَمْ يأتِ بَعْدُ من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيتَ لو أنّ رجلاً له خيل غُرّ محجّلة بين ظهري خيلٍ دُهْم بُهْم ألا يعرف خيله؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: فإنّهم يأتون غرّاً محجّلين من الوضوء، وأنا فَرَطُهُمْ على الحوض، ألا لَيُذَادَنَّ رجال عن حوضي كما يُذَادُ البعيرُ الضالُّ، ألا هَلُمّ، ألا هلمّ، ألا هلمّ، فيقال إنّهم قد بدّلوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً). رقم ٢٤٩ ورد هذا الحديث بسياقات متقاربة عن ثمانية من الصحابة، هم: أبو ثعلبة الخشني، وعبدالله بن مسعود، وأبو أمامة، وعتبة بن غزوان، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، ومعاذ بن جبل. وأبو هريرة. ولفظه من حديث أبي ثعلبة عند الترمذي (٣٠٥٨) أنّ النبي ﷺ قال: (..فإنّ من ورائكم أيّام الصَّبْرِ، الصبرُ

فيه مثل القبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله). قال عبدالله بن المبارك: وزادني غير عتبة: قيل يا رسول الله أجر خمسين منّا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم، والحديث رواه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي برقم (٣٠٥٨) وحسّنه، وابن ماجة (٤٠١٤)، وابن حبان (٣٨٥). وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء)**. حديث برقم (١٤٥).

وقال ﷺ: **(نَضَّرَ الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وأدّاها إلى من لم يسمعها فربّ مُبَلَّغ أوعى من سامع)** أخرجه أحمد/ برقم ٤١٥٧، والترمذي برقم (٢٦٥٧، ٢٦٥٨).

نكتب هذا لنعدّ أمّة دورها قادم لا محالة، فقد ثبت بالوجه القطعيّ فشل الدولة الحديثة، وقد تعرّت جميع

مشاريع الكافر المستعمر ضدّ أمّة الإسلام، وأخذت تظهر نخب من الأمّة الإسلامية، تنادي بحقّ الأمّة في الظهور، وأن تملك إرادتها، وهي تملك مشروعاً حضارياً أنفع للبشريّة ممّا بُلِيَ به العالم من النظام الرأسمالي الذي جلب الدمار والشقاء والتعاسة والاضطراب وعدم الاستقرار للبشرية جمعاء. وينبغي أن يكون هذا دافعاً وحافزاً قويّاً، لحَمَلةِ الدّعوة في تهيئة الأمّة لدورها المرتقب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ الطلاق.

لماذا حَمْلُ الدعوة الآن....؟! (٩)

لأنّ الإنسان عندما استقلّ بعقله عن منهج الله نتج الفساد قطعاً وطبيعيّاً. ذلك لأنّ العقل الإنساني ناقص وعاجز ومحتاج ومحدود فالأمر الطبيعيّ والقطعيّ أنْ يكون إنتاجه فاسداً يتعس البشريّة. وهذا ما حصل فأوّل نتيجة كانت استعباد الإنسان لأخيه الإنسان في كلّ شيء. فرفع شعار الحريّة فنتج عنها الإلحاد وإباحة الزنا واللواط والسحاق حتّى وصل التشريع العقليّ إلى تشريع أنْ يتزوج الرجلُ الرَّجلَ، وتتزوّجُ المرأةُ المرأةَ، فانهدم كيان الأسرة في النظام الرأسماليّ الديمقراطيّ. وصارت دكاكين الزّنا عامّة وطامّة سبقت ذوات الرّايات في الجاهليّة. وكثر نسل المجهولي النّسب، وصار تأجير الرحم قانونيّاً. وشاعت تجارة الجنس والتجارة بالبشر، وصار التجسّس والخيانة على النّاس أمراً مشروعاً وحتميّاً كي يتمكّن القويّ من استعباد أخيه الضعيف، وانتشر الفقر حتّى صار أكثر من

نصف سكان الأرض تحت خطّ الفقر. وذلك لسوء، توزيع الثروة، لأنّ العقل تولّى هذه المهمّة، وعجز الإنسان في الحصول على ما يشبع غرائزه وحاجاته العضويّة، فاضطر أنْ يخضع الضعيف لأخيه الأقوى منه فشاع الاستعباد والتجبر والطغيان.

وفي السّياسة صار الكذب هو مِلْحَها، وصارت المراوغة هي وسيلتها فانحرفت عن معناها الأصليّ، وهو رعاية الشؤون. واخترعت الآلة العسكرية بنارها وبكيماويّاتها، لتحطيم إرادة الشعوب والأفراد ليتمّ الاستعباد الكامل. وصارت الحروب شاملة العالم حتّى صار يطلق عليها بالعالميّة مع أنّها بين قوى الشّر فقط التي تتنافس على المركز الأول أو الثاني للتربّع على قيادة العالم. ولا هدف له غير استعباد الشعوب. وعندما وُسِّدَ الأمر للعقل أنتج الذكاء الاصطناعي فانبهر به البشر ولكنّه مع الأسف الشديد استعمل ضدّ البشر. فهذه هي الحضارة التي خلّفها العقل عندما استقلّ عن خالقه. والآن لا منقذ لهذا الإنسان

إلّا أن يعود إلى خالقه، خالق الكون والإنسان والحياة. فنظامه وحده الكفيل بإشباع سكان الأرض جميعا لحاجاتهم العضويّة، ولغرائزهم وهي المأكل، والملبس، والمسكن، والصّحّة، والتعليم، والأمن.

ولما كانت السيادة في التشريع الإلهيّ للخالق وليس للبشر فلا بدّ أنْ ينتفي استعباد الإنسان لأخيه الإنسان لأن العبودية تعود لوضعها الأصلي، لخالقها ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات. وهنا يأتي دوْر الدّعاة ليوصلوا الإنسان إلى برّ الأمان، بإقناعه بحتمية الحل بالتخلص من الحضارة الفاسدة التي خلّفها العقل البشري عندما استقلّ عن خالقه. وإحلال التشريع الإلهي الذي يصنع حضارة تُسْعِدُ الإنسان محلها، وتجعل حياته مستقرّة هنيئة، وتسود الطمأنينة والحياة الرغيدة. فإذا كان حَمَلَةُ الدّعوة على مستوى المسؤوليّة، وهم هاضمون لفكرة (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله)، مبصرون لطريقة الإسلام في حمل الدّعوة، محدّدون هدفهم وهو نقل البشريّة من عبادة

العبـاد إلـى عبـادة ربّ العبـاد، بجعـل السـيّادة لله الواحـد القهـار، وليس للشعوب ولا للأمّة ولا لرئيس الدّولة. وهـذا يحتـاج إلـى جهـود جبـارة، وإلـى إرادة قويّـة لا تلـين. وهنـا ينجح حَمَلَةُ الدّعوة في مهمّتهم، وهنا تظهر أهميّة حمل الدّعوة في نقل البشريّة من وضع سيادة العقل إلى سيادة ربّ العقل.

كيف نُحْمَلُ الدّعوة.....؟!(١)

الـدّعوة لله، والأجـر مـن الله، والطريقـة فـي حمـل الـدّعوة ينبغي أنْ تكـون منبثقـة ممّـا نـزل مـن الحـق تبـارك وتعالى. ومالنا قدوة غير الذي أشار لنا إليه الربُّ الحقُّ.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب.

وهـا هـي ثقيـف تغـري سـفهاءها ليرجمـوا رسـول الله بالحجارة حتّى أدميت قدماه، وطلب من سادتها وقتئذ أن يخفـوا الأمـر عـن قـريش فلـم يسـتجيبوا، ومكـث غيـر بعيـد يناجي ربّه خوفاً من أنْ يكون هذا كان عقاباً له من ربّه **(إن لم يكن بك عليّ غضب فـلا أبـالى)**. وينزل جبريل عليه السلام وينادي رسول الله ﷺ فقال: **(إنّ الله قد سمع قوْل قومك لك، وما ردّوا عليك وقد بعث الله إليك مَلَكَ الجبال لِتَأْمُرَهُ بمـا شـئت فـيهم. قـال: فنـاداني مَلَـكُ الجبال، فَسَلَّمَ عليَّ ثم قال: يا محمد إنّ الله قـد بعـثني**

إليك وأنا مَلَكُ الجبال لِتَأمُرَني بأمرك، فما شئت؟ إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهم الأخشبيْن، فقال النبيّ ﷺ: بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم من يعبدُ الله، وحده ولا يشرك به شيئا). متّفق عليه. أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١) ومسلم برقم (١٧٩٥).

وتسأل عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ: **(هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أُحد؟ قال: (لقد لقيتُ من قَوْمِكِ ما لقيتُ، وكان أشدّ ما لَقِيتُ منهم يوم العقبة إذْ عرضْتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقَرْن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني..)** صحيح البخاري حديث (٣٢٣١).

هـا هـي طريـق الـدّعوة فمـا دام الهـدف هـو هدايـة النّاس، فيبقى الهدف ماثلاً أمام عينيْ حامل الدّعوة وهو هداية النّاس وليس الانتقام، **(لعلّ الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك بـه شـيئاً)**. وحامل الدّعوة يبذل ماله ونفسه لهداية الناس، ويحتسب ما يتعرّض إليه من أذى لله المنتقم الجبّار. ولا يهدّد بالانتقام قط. بل يردّد ما كان المصطفى يردّده: **(اللـهم اهـد قـومي فـإنّهم لا يعلمون)**.

وقـد توجّـه رسـول الله ﷺ إلـى ربّـه متضـرّعاً بالـدّعاء. ولعلّ فيه ما يهدي حَمَلَةَ الدّعوة إلى ترسيخ طريق الدّعوة في نفوسهم: **(اللهمّ إليك أشكو ضـعف قـوّتي، وقلـة حيلتي، وهواني على النّاس، يا أرحم الراحمين، أنـت ربُّ المستضعفين وأنت ربّي إلى من تكلـني؟ إلى بعيـد يتجهّمني؟ أمْ إلى عدو ملّكته أمـري؟ إنْ لم يكـن بـك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصَلَحَ عليه**

أمرُ الدنيا والآخرة مِنْ أنْ تُنْزل بي غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك لك العتبى حتّى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله). السيرة النبويّة لابن هشام. إن الموعظة الكبرى من هذا الحديث أنّ الرسول ﷺ جعل من عمله محلّ تهمة لعلّه قصّر **(اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي) (فإن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي لك العتبى حتّى ترضى)**. ولم يسقط عدم استجابة القوم عليهم ليبرر عدم نجاحه وقد لجأ في دعائه إلى ربه مستعيناً مستغيثا متضرعاً.

فهلّا جعلنا رسول الله ﷺ قدوتنا، ووطّنّا أنفسنا لنقتدي به في كيفيّة حمل الدعوة للناس كافّة؟! وهلّا وجّهنا ما فينا من طاقة لنتحمّل كلّ مخالفة من أمّتنا لأننا ندعو بشرا ولا ندعو ملائكة!!

وَلأنّنا ندعو إنساناً ليتخلّى عمّا أَلِفَهُ من أمور حرّمها رَبُّ العزّة، أو نطلب منه أنْ يقوم بأمور فرضها ربُّ العزّة. وفي هذه الحالة أنْتَ بحاجة إلى الرحمة وإلى اللطف.

ولهذا قال سبحانه لنبيّ الرحمة ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ ١٥٩: آل عمران. حامل الدّعوة يجب أنْ يدرك أنّه عندما يريد أنْ يقنع أحدا بفكرة كأنّه يذمّ ما عليه هذا الأحد، ويطلب منه التخلّي عما أَلِفَهُ واعتاد عليه، وهذا أمر صعب على النفس الإنسانية، وهذا يتطلّب من حامل الدّعوة الصبر وَحُسْنَ التأنّي وَحُسْنَ التأتّي ليفوز بأَنْ هُدِيَ على يديه إنسان فطوبى له. هكذا يجب أنْ تُحْمَلَ الدّعوة بهذه الطريقة. وسحر البيان يغنيك عن كثير من الجهود. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ ١٥٩: آل عمران. أي بالرحمة لنت لهم وبلين الكلام جذبتهم لاتّباعك. وخطاب الرّسول خطاب لأمتّه ما لم يرد دليل التخصيص، وهنا لم يرد. وبعد ذلك فالعفو عنهم مطلوب ممّا كانوا قد ألفوه وتركوه، ثم لتشركهم في أخذ الرأي ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ ١٥٩: آل عمران حتى يزدادوا قوة في اتّباعك. فصاروا متجانسين مع دعوتك. لأنّك عندما عفوت عنهم، مَحوْت سيئاتهم محواً كاملاً. وصاروا جزءاً من دعوتك،

لذلك أنت مأمور بمشاورتهم، وإذا توفّرت عندك العزيمة واستنفَدْتَ جهدك، فتوكّل على الله، أي اعتمد على جبر تقصيرك ونقصانك بالذي لا شيءَ يعجزه في الأرض ولا في السماء، ويتذكّر حامل الدّعوة أنّه في كلّ ركعة من الصلاة، كلّ الصلوات بلا استثناء- يقرأ قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة.

هذه هي طريقة حمل الدّعوة، استُنْبِطَت من كتاب الله تعالى، ومن سنّة رسول الله ﷺ: **(تركت فيكم أيّها النّاس ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبداً كتاب الله وسنّة نبيّه)**. أخرجه الحاكم في المستدرك (٢١) وقال عنه: صحيح. وذكره البيهقيّ في دلائل النبوّة (٥/٤٤٩). وهذا الحديث يؤيّده قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ الأحزاب. أخرج البخاري حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **(من رغب**

عن سنّتي فليس مني). برقم (٥٠٦٣). ورواه مسلم برقم (١٤٠١). وقال ﷺ: **(ألا إنّي أوتيت الكتاب ومثله معه)**. أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٤)، والترمذي برقم (٢٦٦٤)، وأحمد (١٧٢١٣) من حديث المقدام بن مَعْدِي كَرْب، رضي الله عنه. وروى الطبرانيّ في المعجم الكبير (٢٠/٩٠)، والمعجم الصغير (٢/٤٢) ومسند الشاميين (١/٣٧٩) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن الوضين ابن عطاء عن يزيد بن مرثد عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(خذوا العطاء ما دام عطاء فإذا صار رشوة في الدّين فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه يمنعكم الفقر والحاجة. ألا إنّ رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إنّ الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنّه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، إن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلّوكم)**. قالوا: يا رسول الله، كيف

نصنع؟ قال: (كما صنع أصحاب عيسى بن مريم نُشِّروا بالمناشير، وحُمِلُوا على الخَشَب، موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الخالق). رواه الطبرانيّ في المعجم الكبير (٢٠/٩٠) والصغير (٢/٤٢). وروى الحديث أبو نعيم في الحِلْيَة في دلائل النبوّة وقال غريب من حديث معاذ، لم يَرْوِه عنه إلّا يزيد، وعنه الوضين. انتهى.

وعلّة الحديث أنّ التّابعي يزيد بن مرثد لم يأخذ من معاذ بن جبل مباشرة. فمنهم من عدّ الحديث منقطعاً ولم يأخذ به. ومنهم من أخذ بالحديث لأنّ التابعيّ أسقط صحابيّا. روى الحديث يزيد عن معاذ بن جبل، وإسقاط الصحابيّ لا يضرّ في السند. روى أحمد بن حنبل، في كتاب الاعتصام بالسّنّة، باب حديث الصحابي عن الصحابي، قال البَرَاء: (ما كلُّ ما نحدثكموه سمعناه من رسول الله، ﷺ، ولكن حدّثنا أصحابنا، وكانت تَشْغَلُنا رعية الإبل). حديث صحيح برقم (١٨٤٩٨) في المسند.

والوضين، وثّقه ابن حبّان وغيره. وبقية رجاله ثقات في مجمع الزوائد للهيثمي.. هذا من جهة العلّة. أمّا من جهة المعاني التي تضمّنها الحديث فهي صحيحة في مجملها. وهناك أحاديث صحيحة كثيرة تؤيّدها. وليس هنا مجال بحثها. والشاهد في الحديث: أنّ الرّسول ﷺ أرشد السائل من الصحابة أن يقابل الأمراء المنحرفين الذين يقضون لأنفسهم ما لا يقضون للرّعية، وأنّ من يُطِعْهُم يضلّوه، ومن يعصهم يقتلوه، أمرهم بأن يكونوا كالحواريين– أصحاب عيسى عليه السلام، نُشِّروا بالمناشير وحُمِلُوا على الخَشَب، ومع ذلك بقوا على هداهم مفضّلين الموت في طاعة الله على حياة في معصية الخالق. أيْ أنّ حمل الدّعوة قضيّة مصيّرية في حياة الدّعاة. فيلزم التضحية في سبيل مقاومة المعصية الصادرة عن الحكّام. فهذه أحكام الطريقة في حمل الدّعوة. يهون معه السجن والتعذيب وقطع الأرزاق بل وقطع الأعناق كذلك لأنّه أهون ممّن نُشِّروا بالمناشير وسُمِّروا على الخَشَب. ولا ننسى أنّ خير الناس من يطلب

الموت في مظانّه كقول الحقّ عند سلطان جائر، وكالموت في طاعة الله، وكإزالة الحكم بغير ما أنزل الله. ونحوه.

وخلاصة الطريقة أنْ نلتزم غَرْزَ رسول الله، ﷺ، في تحمّل المشاق، وعدّ المسألة قضيّة مصيّرية. وخفض الجناح لمن ندعوهم فإنّ الرّفق ما دخل في شيء إلّا زانه وما نُزِعَ من شيء إلّا شانه. وأمّا الأساليب فقد أفصح عنها القرآن في سورة النحل ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل.

الخطاب في الآية يشمل ثلاثة أساليب:

الأول: بالحكمة: وهي قرع الحجّة بالحجّة. وهذا الأسلوب لصنف من النّاس يستعمل عقله ويحكّمه في كلّ شيء. وهؤلاء لا ينفع معهم غير قرع الحجّة بالحجّة، والبرهان بالبرهان. ولكنّ التعبير القرآني [بالحكمة] له دلالة أكبر من قرع الحجّة بالحجّة. وهو

أن لا تعمل على إثارة حفيظة من تسعى لهدايته حتّى لا يلجأ إلى المكابرة والعناد. وقديماً قالوا: الكفر عناد. والحكمة هي وضع الشيء في موضعه.

والأسلوب الثاني: الموعظة الحسنة وهي التذكير الجميل بالعواقب. قال ابن سيدة: هو تذكيرك الإنسان بما يُلَيِّنُ قلبَه من ثواب وعقاب. فالموعظة هي إثارة العواطف لتصل إلى شغاف القلوب. وهي النّصيحة، وفي المثل يقال: السعيد من وُعِظَ بغيره، والشقيّ من اتّعظ به غيره. وهذا الأسلوب يستعمل لعامّة النّاس بتذكيرهم بالجنّة والنّار. والخوف من العزيز الجبّار.

والأسلوب الثالث: هو لمن يدين بغير الإسلام ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. لأنّ الجَدَلَ في اللغة هو: شدّة الخصومة. وَجَدَلَهُ أي: غلبه وطرحه أرضا. وجادله أي خاصمه. وفي الحديث: **(ما أوتي الجَدَلَ قومٌ إلّا ضلّوا)**. أي الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لاظهار الحقّ. والجدل مقابلة الحجّة

بالحجّة. والمجادلة: المناظرة والمخاصمة. والجدل لإظهار الحقّ محمود لقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ ١٢٥: النحل. قال أبو إسحق: معناه لا ينبغي للرجل أن يجادل أخاه فيخرجه إلى ما لا ينبغي. هذا ما جاء في لسان العرب لابن منظور. روى الترمذي عن أبي أمامة الباهلي قال رسول الله ﷺ: **(ما ضلّ قوم بعد هُدى كانوا عليه إلّا أوتوا الجَدَل)**. ثمّ تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ الزخرف أي الجدل بالباطل ليدضحوا به الحق. أخرجه الترمذي برقم (٣٢٥٣) واللفظ له، وابن ماجة برقم (٤٨)، وأحمد برقم (٢٢١٦٤). وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه.

- إن الصراع الفكري والكفاح السياسي يعني التصادم بين أبناء الأمّة. وحتّى تُتَجَنَّب الآثار السلبيّة من هذا التصادم، يَتَجَنّبُ حامل الدعوة الجدل العقيم، ويسير

على طريق رسم الخطّ المستقيم بجانب الخطّ الأعوج. ويكتفي بذلك حتّى لا يؤدّي الجدل إلى الأنانية التي تُعْمي وتصمّ عن الحقيقة. فيكتفي بشرح أفكاره ومفاهيمه التي يتبناها. ويبين ما في الأفكار الأخرى من خطأ وزيف، وما فيها من باطل. وما في نتائجها من أخطار. وحينئذ تنصرف الأمّة عنها وتتّجه إلى ثقافة الدعوة وَفِكْرِها التي هي في واقعها مبدأ الأمّة الأصلي، بل وينصرف عنها– أيّ الأفكار الأخرى– أصحابُها بعد أن يظهر لهم زيفها إذا كانوا مخلصين واعين نزيهين.

وهنا، حسن التأتّي له دور كبير في كسب وُدِّ أصحاب الأفكار الأخرى، وعدم خلق شحناء وبغضاء وعداوة معهم بالابتعاد عن شخصنة النقاش سيراً على قاعدة النقاش المشهورة (الخلاف لا يفسد للودّ قضيّة). وتناقض الأفكار المطروحة ربّما يؤدّي إلى صراع بين أفراد الأمّة، وقد يؤدّي إلى تفكّكها فيذهب ريحها. وحامل الدعوة

الحصيف هو الذي يعمل على لمّ شمل الأمّة على مبدئها بالدّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. وهي هدى القرآن الكريم ليلتزم بها حامل الدّعوة.

فاللجاج والإصرار على المجادلة يولّد الخصومة ويدفع الإنسان للتمسّك برأيه، حتّى لو كان مخطئاً. إنّ شخصنة النقاش يعمّق الجرح بين أفراد الأمّة وتزداد الأنانيّة فيحدث الشرخ. ولتجنّب هذه السلبيّات يلتزم برسم الخطّ المستقيم بجانب الخطّ الأعوج.

وربمّا يصادف حامل الدّعوة مسلماً يتمسّك بشؤون الحياة الدنيا، أو يحجم عن حمل الدّعوة حرصاً على مصالحه اليوميّة. فما على حامل الدّعوة إلا أنْ يذكّر ذلك المسلم بما أعدّه الله للمؤمنين بدل متاع الحياة الدنيا فقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة. ويكتفي بالتذكير ويترك له الخيار في التضحية بهذه الشؤون، ولا يحاول أَنْ يستكرهه على شيء عملاً بتوجيه

المصطفى،ﷺ، لعبد الله بن جحش حيث بعثه على رأس سريّة ليترصّد قريشاً في نخلة بين مكّة والطائف. وقد جاء في الكتاب الذي كتبه له رسول الله، ﷺ: **(ولا تُكْرِهَنّ أحداً من أصحابك على السير معك وامض لأمري فيمن تبعك)**.

ومن الأساليب المحبّبة في النقاش أنْ لا يرفع حامل الدعوة صوته، وأنْ يُحْسِن الاستماع للطرف الآخر، وأنْ يتخيّر نقطة أساسيّة، أو جوهريّة ويحصر البحث فيها. ولا يحاول أن يتتبع كلّ أخطاء الطرف الآخر ليردّ عليها وكأنّه في حلبة صراع. ولا يغيب عن باله أنَّ المقابل له بشر يصيب ويخطئ وعليه أن يفسح له المجال للتراجع، وأنْ يحصر البحث والنقاش في الأفكار ولا يمتدّ ليطال الأشخاص حتّى لا تشتعل الأنانية. وتعمل عملها في الطرفين.

ومن الأخطار على الدّعوة في عملية التفاعل مع الأمّة أن يشعر حامل الدّعوة أنّه يمثل الأمّة في مبدئها

فتكون له مكانة مرموقة ومنزلة موقّرة وإجلال من الأمّة. وقد يبعث هذا في النفس غروراً فيرى حامل الدّعوة أنّه أعلى من الأمّة، وأَنَّ مهمّته القيادة، ومهمّة الأمّة أن تكون مقودة، وحينئذ يترفّع على بعض أفراد الأمّة من غير أَنْ يحسب لذلك حساباً. وإذا تكرّر ذلك فيستقرّ في أذهان البعض أنّ الدّعوة تشكل طبقة منفصلة. وهذا الشعور بالطبقيّة هي أوّل طريق انهيار الدّعوة لأنّه يضعف حرص الدّعوة على ثقة البسطاء من النّاس، وتضعف ثقة النّاس بالدّعوة. ومتى انصرفت الأمّة عن الدّعوة فقد انهارت واحتاجت إلى جهود مضاعفة لإعادة هذه الثقة بالدّعوة. ولذلك كان لزاماً على حملة الدّعوة أن يكونوا كأفراد الأمّة البسطاء، وأن لا يشعروا بأنفسهم إلّا أنّهم خَدَمَةٌ للأمّة، وأنّ وظيفتهم الدّعويّة هي خدمة الأمّة لأنّ ذلك يُوجِدُ فيهم المناعة، وينفعهم بدوام ثقة النّاس بهم. وبخاصّة حين يتولّون الحكم لتنفيذ المبدأ عند إعلان إقامة دولة الإسلام.

وأما سياسة الدّعوة في التأثير في المجتمع فنرى أنّه يجب أنْ تختلف عن سياسة الحزب الذي عجز بعد ثلاثة أرباع القرن لأخذ قيادة الأمّة، بل عجز عن التأثير فيها، ومعلوم أنَّ تجريب المجرَّب يدلّ على عقل مُخرَّب. إنَّ إعداد الأمّة الإسلاميّة لحمل الدّعوة للعالمين هو الهمّ الأول لدى أي دعوة سياسيّة مبدؤها الإسلام، ولا يتحقّق هذا إلا بالعمل الدؤوب في الاتّصال الحيّ بالأمّة قبل إقامة الدّولة، وبإحسان تطبيق الإسلام بعد إعلان دولة الخلافة. والبدهي أنْ تكون القيادة الفكريّة أُسَّ الدّعوة. وفي الأمّة طبقة السياسيين الذين يحرصون على منافعهم الشخصية من الحكم القائم، وفيها الظلاميون الذين يأبون إلّا أنْ يعيشوا في الظلام، فيروا مصلحتهم في عدم الصدام مع أنظمة الحكم مع ما فيها من فساد. وفيها الواقعيون عن عقيدة وجهل. وهذه قلاع وحصون تقف في وجه حامل الدّعوة. وهؤلاء جُلُّهم إن لم يكن كلّهم من أبناء الأمّة وإن كانوا

يسيرون في خطّ أعداء الأمّة بعلم وبدون علم. ويشكّلون عقبة كأداء في طريق دعوتهم.

إنّ فلسفة الدّعوة تدعو إلى محاولة عدم الصدام مع هذه الصخور والعمل للاستفادة منها في بناء القلاع والحصون. ولكن كيف يتأتّى هذا إذا كانت النشرات كوابل المطر تدعو لتحطيم الحاكم وإزالته من الحكم؟ والصراع بين الدّولة وحملة الدّعوة غير متكافئ لأنّ سلاح حملة الدّعوة هو الفكر، والدّولة لا تملك فكراً يتفوّق أو يوازي فكراً منبعُه الوحيُ يجري على ألسنة حَمَلَة الدّعوة. لذلك فتجابه الدّولة الفكر بالمادّة، تزج حملة الدّعوة في السجون، وتحاربهم بقطع الأرزاق، والتضييق عليهم في الحركة، بل تضيّق على من يجاملهم أو يحتضنهم. فينفر الأهل من أولادهم (حملة الدّعوة) بل ربما أصبحوا أدوات ضغط على حامل الدّعوة. فهذا الواقع المرير الصعب، قد يقطع حامل الدّعوة عن وسطه الاجتماعي أثناء قضاء فترة في سجون الظالمين، ويضعف الاتّصال الحيّ بهذا الوسط،

ويتقطّع الاتصال بفواصل زمنية طويلة. وللتغلب على هذا الواقع الأليم قررنا تغيير هذه السياسة واستبدلنا بها تقليل إصدار النشرات للنّاس، ومضاعفة الاتّصال الحيّ، ووضع حاجز كثيف بين الدارس غير الناضج وبين العمل، فلا يكلّف بالاتّصال الحيّ إلّا بعد أَنْ يحصل على الإجازة. فلا ندفع حامل الدّعوة للصراع الفكري والكفاح السياسيّ إلّا بعد أنْ يبلغ سنّ الرشد في هضم الفكرة والطريقة. فيصبح مبصراً لقضيّته، محدّداً هدفه فيركن عليه كجنديّ محارب يصمد أمام الرياح العاتية، والأجواء المتقلّبة. وبالاتّصال الحيّ يتمّ إيصال ما يمكن أنْ يكون في نشرة وزيادة وهو النقاش وإبداء الأدلّة والبراهين وتفاعل الفكر فيكون التأثير أكبر، وتَقِلُّ الضحايا وتَتَهَيَّأ الفرص للتغلب على الصخور الثلاث أو على بعضها من الظلاميين والواقعيين بالاتّصال الحيّ الحكيم.

كما وضعنا في سياستنا أنْ تكون الدّعوة قضيّة مصيريّة في حياة من ينتمي لهذه الدّعوة كما دلّت الأدلة

على ذلك: **(والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أنْ أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه)**. سيرة ابن هشام عن عقيل بن أبي طالب.

(فما تظنّ قريش، والله إنّي لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له حتّى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة). رواه ابن هشام عن الزهري في السيرة النبوية في غزوة الحديبية. وهذا القرآن يتلو علينا نبأ نوح عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ يونس. وها هو سيدنا هود يقول لقومه عاد: ﴿ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى

وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ هود.

وقال، ﷺ: **(سيّد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)**. رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد. وتصادف حامل الدّعوة عقبة الجبن والجهل. فيتغلّب عليها بتذكير النّاس بأسس عقيدتنا الثلاثة وبما يتفرع عنها. ويذكرهم بالقرآن ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ الزّمر.

إنّ عقيدة الإسلام لها أثر سحريّ في النفوس فتخلق من الجبان أسداً هصورا. ولنا عبرة بسحرة فرعون عندما أدركوا حقيقة نبوّة موسى خرّوا ساجدين لله الذي بعث موسى لقومه نبيّاً. وعندما هدّدهم فرعون بالتقتيل والصلب والتقطيع للأيدي والأرجل من خلاف قالوا له: ﴿ قَالُوا۟ لَن

نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ طه.

وأما معالجة الجهل فتكون بصبر حامل الدّعوة وبمصابرته على بعث العقيدة وتحريكها في نفس الجاهل. ومن البديهيات أنَّ من جهل شيئاً عاداه. فيقوم حامل الدّعوة بتبصير الجاهل بأسس عقيدته. ومن العقبات التي تعترض حامل الدّعوة النفس الأمّارة بالسوء، والهوى الذي يُضِلُّ صاحبه. والأخلّاء الذين يتبرأ منهم المرء يوم القيامة فيخوفونه بمن هم دون الله. والنفس الأمّارة هي العدو الأوّل للإنسان قبل الشيطان. وقد يحتقر المرء نفسه بأنْ لا يقول ما يجب أنْ يقال في وقته. كلّ أولئك من عوامل الضلال تتنازع النفس اللّوامة. وهي النفس المؤمنة التي تراجع أعمالها وتحاسبها وتنحى على حالها باللائمة لما فرّطت في جنب الله، وتندم لِمَ لَمْ تستكثر من الخير؟ فهذه النفس جديرة أن تتشّرف بِأَنْ أقسم الله بها في سورة القيامة. وما كان يوم القيامة إلّا لتكريمها. واللوّامة صيغة مبالغة بلوم

نفسها تنشأ عنه التوبة والندم والتقوى. حقّاً إنّ النّفس اللّوامّة في الدنيا هي النّفس المؤمنة حقّاً. أمّا نفس الكافر فهي تلوم نفسها في الآخرة حيث لا ينفع الندم وتقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ الفجر. ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾﴾ ﴿يا ويلتى لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾﴾ الفرقان ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا ﴿٤٠﴾﴾ النبأ.

ويعلم حامل الدّعوة أنّ الضعف لا يعفي من المسؤوليّة، لأنّ منشأه الغرائز التي لا تهتدي بهديِ الله. فيقال للضعفاء المقصّرين يوم القيامة ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ ٩٧: النساء. فالتقصير في حمل الدّعوة خشية جبروت الظلمة وطواغيت الأرض لا يعفي من المسؤوليّة البتّة. وإنّ أجر حامل الدّعوة يتنّاسب مع الأجر العظيم الذي أعدّه الله تعالى للقائمين به.

وهنا نَسْتَحضِر قول الله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾ ٩٢ سورة النحل.

فنتذكر إخواناً لنا تركوا الدّعوة، أو أجبروا على تركها بظلم أو بغيره. فنقول لهم إنَّ اللوم في الدنيا يغنيكم عن اللوم في الآخرة. والسعيد من اتّعظ قبل فوات الأوان، أفلا يكفيكم أنّ ربكم على كلِّ شيءٍ شهيد؟ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ فصلت. فانهضوا، وعَضّوا على جراحكم، وامضوا راشدين لتجديد نشاطكم، وأدّوا فرض ربّكم فإنّ ميدان العمل مفتوح وأنتم قوّة متفرّقة، فتجمّعوا لتكونوا قوّة فاعلة في نصرة دين ربكم، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ ٤٦: الأنفال. واعملوا على مكانتكم لإنهاض أمّتكم لترى مقعدها بين الأمم ولن يَتِرَكُم الله أعمالكم. والعاقبة عند ربكم للمتقين.

كيف تُحْمَلُ الدّعوة...؟! (٢)

بالتركيز على الأمّة لتكون هي حامل الدّعوة للأمم الأخرى لأنّ الأمّة الإسلاميّة لا تغلب في صراعها مع الشعوب والأمم، وهي قادرة على إنقاذ العالم مهما كانت قوّة الدّول المسيطرة عليه. وأمّا الحروب الصليبيّة التي استمرت أكثر من قرن فكانت محصورة في بلاد الشام ومصر فقط، ولم تشترك الأمّة جميعها وذلك لأنّها كانت موزعة في ولايات تشبه الدّول، ولم يكن للخليفة سيطرة على هذه الولايات. ولذلك لم تشترك باقي الولايات في الحروب الصليبيّة. مع أنّ النصر النهائي كان للمسلمين، وطُرِد الصليبيّون من مصر وبلاد الشام ورجعت سيطرة الإسلام على هذه البلاد.

إنّ الأمّة الإسلاميّة قادرة على إنقاذ العالم من القوّى الشريرة التي تتحكم فيه وتتسلط عليه وتذيقه ألوان الشقاء والذل والاستعباد. وهنا قد يتشكك أناس فيقولون: إنّ الأمّة

الإسلامية اليوم خاضعة كسائر العالم لهذه القوى الشريرة ويصيبها ما يصيب العالم من ألوان الشقاء والذل والاستعباد. ومفروض عليها السيطرة الكاملة بجميع أنواعها السياسيّة والاقتصادية والثقافية والعسكرية، فالأحرى بالأمّة أن يطلب منها تحرير نفسها من السيطرة والنفوذ لا أنْ يطلب منها تحرير غيرها. وإنّ الأمّة الإسلاميّة اليوم لا طاقة لها على هذه القوى الشريرة فكيف تُدْعَى لتحرير الشعوب والأمم الأخرى؟!!!

ونقول لمن يتشكك: يبدو عليك أنّك تجهل طبيعة المسلمين وتجهل مدى قوّة الإسلام في الصراع، وربما يكون المتشكك يتعمد المغالطة أو التضليل ذلك لأن العدو اللدود وهو الكافر المستعمر يعمد إلى إشغال الأمّة بتحرير نفسها ليصرفها عن حمل رسالتها للعالم، ويوقعها في شرك دوّامة من الأفكار والأعمال للتحرير تؤدي إلى توثيق قيودها لا إلى حلّها، وإلى تقوية سيطرته عليها لا إلى الخلاص من قيودها. ولذلك فإنّ انشغال الأمّة بنفسها عن

حمل الدّعوة إلى العالم لإنقاذه هو وسيلة من وسائل صرفها عن دعوتها، ووسيلة من وسائل تثبيت هذه السيطرة، وتطويل أمد بقائها فوق بلاد الإسلام. ومن هنا نرى أن من الخطأ والخطر على الأمّة أنْ تنشغل بنفسها عن دعوتها، وأن يلهيها شأنها عن العمل لإنقاذ البشرية مما فيه.

إنّ طبيعة الإسلام إذا حلّ من الإنسان في مركز العقيدة، ووجدت بذرته في النفس البشريّة فإنّها تحوله إلى شخص أقوى من القوّة، وأسمى من السمو، وأعلى كعباً من الفرسان والحكماء والمفكرين. والدليل على ذلك كيف نقلت العقيدة القبائل العربية المتناحرة، والعجم معهم إلى أمّة عظيمة اقتعدت الذرى وتبوّأت القمّة عشرة قرون وهي الدّولة الأولى في العالم.

أضف تجربة الحروب الصليبيّة حيث كشفت عما في طبيعة المسلمين من قوّة خارقة تنزل على المسلم فجأة تنقله من عبد إلى سيّد، ومن مهزوم إلى منتصر، ومن أسفل درك الانحطاط إلى أعلى درجات العلى والمجد. وما نور

الدين زنكي وصلاح الدّين الأيّوبي إلّا مثل خالد بن الوليد، وسعد ابن أبي وقاص على ما يفصل بين صدر الإسلام والحروب الصليبيّة من فواصل الزّمن. فأصالة المسلمين أصالة أعمق من الزمن، وأثبت من الثبات أمام الحدثان. فهذه طبيعة المسلمين وطبيعة الإسلام تفعل فعلها في النفسية في كل جيل يعتنقه ويحمله إلى يوم الدين.

فإن تأثير الإسلام سحر يتجاوز رؤية البصر والبصيرة والإدراك. ولذلك من الخطأ أنْ يطلب من الأمّة أن تنشغل بتحرير نفسها فقط بل يطلب منها أن تحمل الدّعوة الإسلاميّة إلى العالم لنشر الهدى فيه وإنقاذه مما يحيق به من سيطرة وذل وظلم واستعباد وكفر وضلال. فهي مسؤولة عن النّاس ومسؤولة عن نشر الهدى بين بني الإنسان.

إنّ الأمّة الإسلاميّة أقوى من قوى الشر مهما اجتمعت، لأمرين اثنين:

الأول: إنّها تملك فكرة كلّية عن الكون والإنسان والحياة لا يملكها أحد غيرها. وهي فكرة ديناميكية جبّارة، وهي

في الوقت نفسه تعطي الصورة الحقيقية عن العالم، وعن النّاس، وعن الدول، وعن المجتمعات، وتعطي في الوقت نفسه الطريقة الصحيحة للتغلب على دول الكفر مهما كانت، ولذلك ليس غريباً على من يملك هذه الفكرة الكلية أن تكون قواه قوى لا تغلب.

الثاني: أنّ الأمّة الإسلامية تملك قوة مادّية جبارة هائلة تكفي لأن يكون النصر مكفولاً لها مهما كان وضع الصراع الذي تدخل فيه، ومهما كانت القوى التي تصارعها. ولا يوجد قوّة في الدنيا في مستواها. فهي تملك ثروات لا تنضب، ورجال شجعان لا نظير لهم في العدد والقوّة، وثروة فكرية لا تهزم أبداً يعجز أي فكر وضعي أن يصمد أمامها. وهي تفهم معنى السياسة والحرب، وتعرف كيف تصارع قوى الكفر، وكيف تزلزل عروش الطغيان، وتاريخها شاهد عيان على ذلك. فالموضوع هو الأمّة الإسلاميّة متى تحركت كان التحرير، ومتى اندفعت كان الإنقاذ، ومتى زمجرت خرّ الجبابرة

ساجدين، فالمسألة كلها أن تتحرك الأمّة، ثم تندفع، ثم تزمجر فتكون السعادة والهناء والطمأنينة والاستقرار ويعم التقدم والازدهار.

ولذلك يجب أن لا يغيب عن البال أنّ الأمّة هي موضوع البحث فهي تعرف واجبها نحو نفسها، ومهمتها تجاه بني الإنسان. فتحررها يكمن في ثقتها بعقيدتها، وفي وحدتها، وإخلاصها لدينها ولربها.

ونحن نكتب هذه الكلمات قد مضى على أحداث حرب يهود على غزّة في فلسطين شهر ونيف وفيها دروس وعبر، كيف ثلة من المسلمين في غزّة فعلت فعلها في اليوم السابع من شهر تشرين أول المنصرم في جيش يشاع عنه أنه لا يقهر، ولا يوجد أي تقارب أو مقارنة في القوّة المادّية بينهما. وهذه الثلة لا تدعو لتحرير فلسطين لإقامة دولة إسلامية، بل تسمي نفسها حركة تحرر وطني. فما بالك إذا كانت هذه الثلة مقدمة لتحرك الأمّة الإسلامية؟! ومن الدروس كيف تجمع الكفر اليهودي والكفر النصراني متمثلاً

بأمريكا وأوروبا وعملائهم حكام الدّول العربية، ومطالبة يهود بالإجهاز واستئصال هذه الثلة؟ ومهما كانت النتائج فإنّ الدروس والعبر ستبقى على مدى الدّهر، ولذلك فإنّ العمل لتحرر الأمة من هيمنة الكافر المستعمر عليها لا يكون منفصلاً عن إعداد الأمّة لتقوم بواجبها تجاه البشرية، فهذه هي كيفية حمل الدّعوة، وهو العمل في الأمّة لتحمل عقيدتها للناس كافّة. والله غالب على أمره وكان أمر الله قدراً مقدورا.

أين تُحمل الدّعوة...؟!

ورد حمل الدّعوة في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ ١٩: الأنعام. أيْ: ومن بلغه القرآن ينذر به. ومن البديهي أن يبدأ تبليغ الدّعوة في المكان الذي نزل فيه القرآن. ثم ينتقل إلى كل مكان يستقرّ فيه القائم بفرض تبليغ الإسلام. ولما كان المسلمون متفرقين في القارّات الست فإنّ العالم كله مكان صالح لحمل الدّعوة. ولما كانت مشكلة المسلمين هي هيمنة الكافر المستعمر عليهم، كان الهَمُّ الأكبر لحملة الدّعوة هو إزالة الاستعمار من بلادهم حتى يتمكنوا من استئناف الحياة الإسلامية. ولما كانت دعوتنا لها غاية محددة وهي إقامة دولة وإنهاض أمّة. وهي تسعى لذلك في منطقة الشرق الأوسط. ولذلك فإننا نحصر حمل الدّعوة في هذه المنطقة حتى تكون النتائج أقرب منالا. وسواء شارَكَنَا في الحصر

غيرُنا أم لم يشارك أحد فإنّ دعوتنا ستستمر في هذه البقعة من الأرض.

إنّ بدء أسباب انحطاط المسلمين كان في فصل الطاقة العربيّة عن الطاقة الإسلاميّة فقد تسبب في الضعف الشديد في فهم الإسلام. وأفضل مكان لمزج الطاقتيْن هو البلاد العربية لأنها تنطق بلغة القرآن. واللغة العربيّة جزء جوهري من الإسلام. ولا يمكن أداء الإسلام أداء صحيحاً وكاملاً إلاّ بها، ولأنّ بإهمالها سيبقى الاجتهاد بالشّرع مفقوداً، لأنّ اللغة العربيّة شرط أساسي في الاجتهاد. ولأنّه لا تقدّم للأمة إلّا بوجود الاجتهاد. ومن هنا كانت أهميّة البلاد العربية في البدء فيها في حمل الدّعوة لتحقيق استئناف الحيّاة الإسلامية عن طريق بناء دولة وتسلّم الحكم.

ثمّ إن نظام الإسلام نظام عالمي، لكن ليس من طريقته أنْ يُعْمَل له من البدء بشكل عالميّ، ولكن يدعى له عالمياً، وأنْ يُجعل مجال العمل له في قطر أو أقطار حتى

يتمركز فيها، فتقوم الدّولة الإسلاميّة التي تنمو نموّاً طبيعيّاً حتى تشمل جميع بلاد العالم الإسلامي أولاً، ثمّ تحمله الدّولة الإسلاميّة لباقي أنحاء العالم، باعتباره رسالتها، وباعتباره رسالة إنسانيّة خالدة. والعالم كلّه يصلح للدّعوة الإسلاميّة، غير أنه لما كانت البلاد الإسلاميّة يدين أهلها بالإسلام، كان لابدّ أنْ تبدأ الدّعوة فيها، ولما كانت البلاد العربيّة بوصفها جزءاً من البلاد الإسلاميّة تتكلم اللغة العربيّة التي هي جزء جوهري في الإسلام، وعنصر أساسي من عناصر الثقافة الإسلاميّة، كان أولى البلاد بالبدء في حمل الدّعوة هي البلاد العربيّة.

أضف إلى ذلك خيرات هذه المنطقة جعلت الأعداء يتكالبون عليها وقد تجلّى ذلك في التنافس المحموم في استعمارها حتّى وصفت ببرميل بارود. فكان التنافس بين بريطانيا وفرنسا في الحرب الأوروبية الأولى، ثم جاءت أمريكا في الحرب الأوروبية العالميّة الثانيّة لترث الدّولتين. فهذه المنطقة تحوي من احتياط البترول ما يسيل لعاب

الدّول الكبرى، وفيها من المعادن النفيسة، والقطن والأرز والخضروات ما يساهم في طول أمد الاستعمار لهذه المنطقة والأهمّ من ذلك ما قاله كيسنجر (حيث نشأت ثلاث من أكبر الدّيانات في العالم... ليست الطبيعة التي تبعث القوّة، إنما هي العقيدة والعلاقات الإنسانيّة) إلى أنْ يقول: (إنّ نزاع الشرق الأوسط لا يعود إلى آلاف السنين، كما يزعمون غالباً، إنّه حصيلة القرن العشرين حصراً، وبالحقيقة فإن الحركات الصهيونيّة والعربيّة القوميّة ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر، ولكنها لم تكن موجهة ضدّ بعضها البعض، ووجب علينا أنْ ننتظر زوال الاستعمار البريطاني الذي جاء بعد أجيال من التسلط العثماني حتى إن اليهود والعرب، الذين كانوا حتى هذا التاريخ في تعايش سلمي، يأخذون في عراك مميت حول مستقبل سياسي لهذه الأرض) مذكرات هنري كيسنجر: الجزء الأول: السياسة في الشرق الأوسط. وإذا أضفنا ما افتعلته أمريكا في الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م حتّى تعلن أنّ الإسلام هو

العدو الأول– بعد تفكك الاتّحاد السوفياتي– نجد أنّ أمريكا قد جددت الذرائع لاستمرار استعمارها. وهذا يدعو إلى حمل الدّعوة بأقصى ما يستطيع المؤمن لمجابهة هذا الصراع المحموم.

إن الواقع المنظور من زرع كيان يهود في مقدّسات المسلمين– في الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومحاولة إدخاله كجزء من أهل المنطقة، ثم نقل القوّة من أهل السّنّة إلى دولة إيران الفارسيّة وخلق مشكلة سنّة وشيعة لهي مصيبة أخرى، وعُقْدَة تضاف إلى التعقيدات التي يفرضها الكافر المستعمر على المسلمين ليعيق نهضتهم. كل ذلك يجعل حامل الدّعوة الواعي لا يرفع بصره عن هذه البقعة من أرض المسلمين، ويركّز عمله فيها باذلاً أقصى ما يملك من قوّة لاستعادة ما سلبه الكافر المستعمر من أرض المسلمين.

ثم إنّ صراع الحضارات على أشدّه حيث تقف كلّ الأديان والمعتقدات السماويّة والأرضيّة ضدّ الإسلام. وجلّ

سكان الشرق الأوسط يدينون بالإسلام ولا يرضون عنه بديلا لأنّه وحده الحقّ من الله الحقّ. وهذا مسوّغ مهم ليقف حامل الدّعوة بثبات على هذه الأرض في هذا الصراع لكي يزيل سبيل الكافرين عن المؤمنين، لعلّه يحظى برضى ربّه.

إنّ من مفاهيم الأعماق في التّاريخ أنّ من يسيطر على هذه المنطقة (الشرق الأوسط) يسيطر على العالم، فمن لا يركّز عمله في هذه البقعة، تحت أيّ مسوغات، فقد يفوته الخير الكثير. فهذه أرض الحشد والرّباط ومنها انطلق الإسلام لأوّل مرة، ومنها سيعود لمزاولة دوره لهداية البشريّة ولجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وهذا يتوقف على حَمَلَةِ الدّعوة ومدى التضحيات التي يقدمونها لنصرة دين الله حتّى يمنّ الله بنصره. لهذا كلّه فإنّنا نرى أنّ العمل في غير هذه المنطقة هو إضاعة للجهد والمال والوقت.

ولمّا كان المسلمون منبثّين في الكرة الأرضيّة، فليس من الطبيعيّ أن يهاجروا جميعا إلى الشرق الأوسط، ولا سيّما أنّه ليس دار إسلام. ومن غير الممكن تحويل دول الكافر المستعمر إلى دار إسلام بحمل الدّعوة الفرديّ أو الجماعيّ أو الحزبيّ، لذلك فإنَّ الهدف يكون غير الهدف من حمل الدّعوة في الشرق الأوسط. فالدّول التي يطلق عليها إسلاميّة ومنها إيران وأندونيسيا والهند وباكستان وماليزيا ونحوها، يكون حمل الدّعوة فيها فرديا، وربّما جماعيّاً لهدف آخر وهو تهيئتها للانضمام إلى الدّولة الإسلاميّة بعد توفيق الله وإعلانها في الشرق الأوسط. فلا يغيب عن البال أنّها جزء من الأمّة الإسلاميّة. فأهمّ أفكار الدّعوة هي دعوتهم لإحياء لغة القرآن فيها، عن طريق إيجاد جمعيّات لتحفيظ القرآن الكريم، أو إيجاد جمعيّات لتدريس اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، وتشجيع العلماء لتأليف الكتب باللغة العربيّة مع ترجمتها بلغة البلاد الرّسميّة، أو الدّعوة لإيجاد مجتهدين. ولا يكون الاجتهاد

إلّا بلغة القرآن. أو بإيجاد مدارس تدرّس اللغة العربيّة لغة ثانية، أو إيجاد معاهد خاصّة لتدريس اللغة العربيّة لتخريج دعاة باللغة العربيّة. أو إيجاد محطّات إذاعيّة أو تلفزيونيّة، أو إليكترونية حسبما يتاح لنشر اللغة العربيّة مقرونة بالترجمة مع اللغة الرسميّة في البلاد– وهكذا مع التركيز على فكرة الوحـــــــــدة ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ الانبيـاء. ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ المؤمنون.

كلّ ذلك يجمعها عقيدة لا إله إلّا الله محمد رسول الله. فالصلاة لا تجوز إلّا بلغة القرآن، فهي الجامع ومنها المنطلق. مع إبراز قضيّة فروض وواجبات شرعيّة يستهين بها كثير من النّاس.

إنّ الأخوّة الإسلاميّة تقتضي التفاهم بلغة القرآن ولغة السّنّة النبويّة الشريفة. وأمّا في بلاد الكفر أو ديار الكافر المستعمر فالهدف يختلف، فيكون بكسر حدّة العداء

بينهم وبين الإسلام والمسلمين. وذلك بالموازنة بين القيم التي يدعو لها الإسلام، والقيم التي يدعو لها المبدأ المعمول به في تلك البلاد، أو الموازنة بين تشريع الإسلام وتشريع المبدأ الرأسماليّ في قضايا اجتماعيّة وقضايا اقتصاديّة، وسياسيّة وهكذا. والعمل يكون في شقّيْن:

الشقّ الأول: مخاطبة المسلمين في تلك البلاد بلغة القرآن ما أمكن.

الشقّ الثاني: مخاطبة أهل البلاد بلغتهم. وربما باستمالة المعارضين منهم لإحياء قيم إنسانيّة أو قيم أخلاقيّة، أو بيان مفاسد الرأسماليّة، ومفاسد الرّبا، ومفاسد الحريّة التي أنتجت الشذوذ الجنسيّ، ومنه زواج الرجل للرّجل، وزواج المرأة للمرأة، ومنه تشجيع البغاء. وبيان آثار الحروب المدمّرة لعيش المواطنيين، بدل استغلالها في بناء البنية التَحتيّة، ولنا دروس وعبر في عمل نعيم بن مسعود في غزوة الخندق عندما أعلن إسلامه عند الرسول ﷺ، وكيف وجّهه رسول الله ﷺ

للعمل للتخذيل عن المسلمين. فهذه البلاد لا يدعى فيها لإقامة دولة إسلاميّة، ولا يكون الهدف فيها استئناف الحياة الإسلاميّة.

هذا هو تصّور دعوتنا للعمل في الأرض. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ الطلاق.

وخلاصة القول: إنّ دعوتنا تحصر العمل في البلاد العربيّة، وينصبّ الصراع الفكريّ والكفاح السّياسيّ على مكافحة الاستعمار بمحاربة قيادته الفكريّة الرأسماليّة ومنها الديمقراطيّة والحداثة والعلمانيّة والليبراليّة إلى جانب تعرية أكذوبة استقلال الدول القوميّة القائمة في بلاد المسلمين. ويكون الصراع على أساس الإسلام يقابل الكفر.

إنّ الاهتمام بالبلاد العربيّة ليس تعصّباً للقوم ولا للوطن، بل هو هدى من ربّ العالمين، ولا محيص عن هدى ربّ العالمين ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى

وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت.

إنّ مفكري أعداء الأمّة اليوم وعلى رأسهم مهندس الخارجية الأمريكيّة لعقود طويلة هنري كيسنجر يرشد أمّته أنْ تهتمّ بالعالم العربي لامتصاص خيراته، والعمل على إبقاء أهله في حاجة للغرب وأن لا يصحو أهله. وعندما شعر أنّ أهل العالم العربيّ قد تنبّهوا إلى عقيدتهم التي ترفض الاستعمار قرّر وجوب تجريد المنطقة من القوّة فشلَّ مصر والسودان. وهدّم العراق وخلق فيها المشاكل لأمد غير منظور، وحطّم سوريا وأعادها للعصور الحجريّة، ودمّر ليبيا واليمن، وجعل لبنان والأردن في وضع دول مفلسة عاجزة عن رعاية شؤون أهل البلاد. وخلق المشاكل في المغرب العربيّ ليشغل أهله إلى أمد غير منظور. وجعل دويلات الخليج تحلّ مشاكل أوروبا الماليّة والاقتصاديّة. وعمد إلى إيران ليجعلها كبش فداء، دولة فارسيّة شيعيّة ضدّ السنّة في البلاد العربيّة حتى استطاع أنْ يصوّرها العدو الأول للعرب،

بل عقدت بعض الدويلات العربيّة الخناصر مع دويلة يهود (المحتلّة لمقدسات المسلمين في فلسطين) ضد إيران. وباختصار جعل البلاد العربيّة في حالة قلقة لا تذوق طعم الاستقرار. وهذه السّياسة تساندها السّياسة الأوروبيّة والرّوسيّة. كل ذلك لأهميّة هذه المنطقة. ولذلك يجب على أيّ حزب سياسي إسلامي أن يركّز عمله في هذه البلاد لأنّ من يسيطر عليها يسيطر على العالم. ومن هنا رأى عبقريّ أمّة الإسلام في القرن العشرين. الشيخ محمد تقيّ الدين بن إبراهيم النبهاني ضرورة حصر العمل في البلاد العربيّة، ولاسيما الأقطار التي فيها مقوّمات دولة.

وهناك مفكرون استراتيجيون من غير المسلمين من أهل المنطقة يلفتون الأنظار إلى أهمّية البلاد العربيّة وسمّوها قارة الوسط. ويرون أنّ المستقبل للعرب في هذا القرن. ومن هؤلاء الدكتور نبيل خليفة في لبنان، وهو ماروني كاثوليكي. ويرى أنّ النصف الثاني من هذا القرن هو عصر أهل السنّة بامتياز. ومن هؤلاء د. وائل حلاق في كندا

وهو من نصارى فلسطين. ويرى أنّ الحداثة عفنة، وأنّ الفساد في العالم منبعه الحداثة. ويشاركهم في الرؤيا مستشار بوتين، نيفتالي نعومكن. ولذلك كله ترى دعوتنا ضرورة التركيز والاهتمام بالعالم العربي وحده، وتَعْتَبِر العمل في غيره مضيعة للوقت، وتبديداً للجهود، كما تعتبر أنّ العمل في أي قطر يستحيل فيها تحقيق هدف الدّعوة هو عمل عبث، وسير في الطريق الخطأ، ولا يأتي بخير لتغيير حال المسلمين.

متى تُحْمَلُ الدّعوة...؟!! (١)

متى ظرف لما يستقبل من الزمان. يحدّد سنُّ التكليف مع العِقَل بداية حمل الدّعوة، ويستمر حمل الدّعوة حتى انتهاء الأجل. وإذا أضفنا إلى (متى) واقع المسلمين المرير فإنّها تستغرق كلّ ثانية من الزمن. فما دام المسلم خُلِقَ مِنْ أجل الإسلام، ففرض حمل الدّعوة إلى الله لا يفارقه حتّى انتهاء أجله لا يبطله قيام دولة تطبق الإسلام، وإنْ كان الفرض ينتقل إلى الدّولة، ولكن سفر وسياحة المؤمن إلى أيّ دار لا تطبق الإسلام، يقوم الفرْضُ بنداء صاحبه، ها هي (متى) لم تنته. بل إنّ من يُخَلِّف صدقةً جارية في حمل الدّعوة فيأتي ثمارها بعد انتهاء الأجل. نعم إنّ "متى" يُسْأل بها عن نصر الله فتقع اسماً يحلّ محل الظرف الزماني، كما يُسْأل بها عن يوم القيامة، ويسأل بها عن عذاب الله الشديد لمن قصّر في حقّها، ومات دون أنْ يستغلّ كلّ أجزائها في حمل الدّعوة، أو من لم يحملها على

أصولها. أو مَنْ لم يجعلها قضية مصيريّة في حياته. ألم يقرأ المسلم قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فصلت. ألم يقرأ المسلم قول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ١٢٥: النساء. والجواب: لا أحد أحسن فطوبى لمن نذر حياته لحمل الدّعوة على أصولها. وطوبى لمن جعلها قضيّة مصيريّة في حياته كلها، وطوبى لمن مات وهو على هذا النسق.

إنّ من أصعب الصعوبات في حمل الدّعوة أنْ يكون المرءُ تحت حكم الكافر المستعمر، أو تحت مَنْ عيّنه الكافر المستعمر حاكماً على المسلمين، وحمى نفوذه بقوّة السّلاح، أو بتقييد الحاكم بمعاهدات يعجز معها الانفلات من قيوده. لأنّه يقابل الفكر بالقوّة المادّيّة. وقد يُفْرِطُ الحاكم باستعمال القوّة المادّية ضد الصادقين من حملة الدّعوة، ولكنّ الأمر الإلهي يقتضي أنْ نسترخص الأنفس

والأموال في سبيلها. لأنّ الثمن غالٍ وهو الجنّة ورضوان من الله أكبر.

فالعقبة الكأداء هي طرد الكافر المستعمر من البلاد. والمسلم الواعي لا يصدق كذبة الاستقلال الذي يروّج لها الكافر المستعمر نفسه. بل ويبالغ في ترديدها، ويعمل المهرجانات السّنوية لها لترسيخها في عقول الأطفال وضعاف العقول من النّاس. وكفى بالإعلام مردّداً لهذه الأكذوبة لتستقرّ في أذهان الشعوب. ولما كان حمل الدّعوة يقوم على عقيدة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، فإن الجانب الفكري هو الذي يطغى لأنّه السلاح الأوّل في الصراع الفكري، فإذا اعتنقته الأمّة فإنّه يتحول إلى قوّة مادّيّة تطيح بالعروش والتيجان. وإن كان هذا ليس محل بحثه.

لقد شُرِعت الدّعوة منذ أنْ نزلت أول سورة في القرآن ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ سورة العلق، أو سورة اقرأ. وقد أطلِقَ على الحالة الاجتماعية حينها– الجاهليّة–

وذلك في العالم كلّه. وما أشبه اليوم بالبارحة. وقد أطلق على عصرنا– جاهلية القرن العشرين– ولقد بلغت الجاهليّة ذروتها في القرن الواحد والعشرين حيث ظهرت تشريعات أسرة المثليين، وظهرت كذبة الديمقراطية باقتحام مجلس الكونغرس بتوجيه من رئيس الولايات المتّحدة الأمريكية (دونالد ترمب) الخاسر في الانتخابات وقتئذ. وقد أُتْبِعَت سورة اقرأ بسورتي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ المدثر. وسورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ المزمّل. فحيثما وُجِدَ الفساد، واستشرى فهو مكان حمل الدّعوة.

وكلما عمّ الفساد وظهر في البرّ والبحر بما كسبت أيدي النّاس وجب حمل الدّعوة لإصلاح أمر النّاس. إنّ الفساد من نتائج استقلال العقل عن تشريع ربّه، وإنّ

الإصلاح يكون من تشريع ربّ العقل. ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ البلد. وفي سورة الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾.

وهذا هو أوان حمل الدّعوة للعالم كلّه. ولما كان حمل الدّعوة للعالم يلزمه دولة تطبق الإسلام حتى تظهر مصداقية الدّعوة، وتتجسد أفكار الدّعوة في واقع، فيلمس القريب والبعيد مدى تطابق أفكار الدّعوة مع الفطرة الإنسانية، ولما كانت الدّولة بحاجة ماسّة إلى عمل جماعي، فكان التكتل واجب الوجود لإقامة الدّولة. لأن ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب.

إنّ حمل الدّعوة شُرِعَ لإصلاح أمر الفساد. كما شُرِعَ لاستقامة أمر الإصلاح وحمايته من الانتكاس. فهو دائم الوجوب. ولما كان القلب في تقلُّب، فقد يمسي المسلم كافراً، ويصبح الكافر مؤمنا فحمل الدّعوة هو الحارس

الأمين لردّ العقل الشارد، والقلب المتقلّب فلا غنى عن حمل الدّعوة في أيّ زمان، ولا في أيّ مكان.

إنّ دول العالم اليوم مجمعة على شنّ الحرب على الله. وهذا الإجماع من أشد وألزم الحاجة إلى تغييره. ولا يتمّ ذلك إلّا بحمل الدّعوة في كتلة لإيجاد دولة تحمل الإسلام وتدعو إلى الله. فهذا هو أوان حمل الدّعوة.

إنّ المسلمين هزموا يوم ألغى مصطفى كمال نظام ربّ العالمين وأنهى الخلافة من الوجود، والمؤمن لا يصبر أنْ يضام. فكيف إذا صارت كلمة الله هي السفلى؟!! فإنّ الغيور على دينه لا يجعل لحظة من عمره تمضي من غير أنْ يحمل الدّعوة لجعل كلمة الله هي العليا، لأن لا حياة له دون ذلك.

متى تُحْمَلُ الدّعوة...؟!(٢)

إنّ لحمل الدّعوة أوجهاً كلّها واجبة. وكلّها قضايا مصيرية. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة. ففي العهد المكي حملها دون سلاح حتى هيأ الله لدعوته النصر المبين بإقامة دولة في المدينة. وفي العهد المدني حمل الدّعوة عن طريق الدّولة ففتح الفتوح وانتشر الإسلام في العالم حتى دانت له أكبر دولتين في العالم، وتربع على عرش الدولة الأولى عشرة قرون كاملة. والتاريخ ينطق أنّ المسلمين كانوا قلة في البلاد المفتوحة أول الأمر. ولما استقرّت الأمور وأدرك غير المسلمين عدالة الإسلام، ولم يجبروا على ترك أديانهم، بل سمح لهم ممارسة طقوس دينهم، حتى سمح لهم شرب الخمر في بيوتهم، وهم يتقيدون بالنظام العام، ويتزوجون حسب أديانهم، ولما رأوْا مدى انسجام ما عليه المسلمون مع فطرتهم، وأقنع ذلك عقولهم اعتنقوا حينها الإسلام حتى صار المسلمون أغلبيّة.

وهنا يظهر الفارق الكبير بين الاستعمار والاحتلال وبين الفتح الإسلامي. فاحتلال فرنسا للجزائر مثلاً قتلت ما يربو على عشرة ملايين مسلم حتى (يُفَرْنِسُوا) شعب الجزائر ولم يفلحوا. والولايات المتحدّة الأمريكية قتلت ما يربو على خمسين مليون من السكان الأصليين حتّى تمكنوا من استبدال مهاجرين من أنحاء العالم بالشعب الأصلي، وأمّا بريطانيا فلم تكتف، بقتل المسلمين في الهند، بل سخّرت الشعوب ليكونوا جنداً لهم جَبْرَاً ورهباً لقتال واحتلال واستعمار العالم؛ حتى أصبحت الامبراطوريّة التي لا تغيب عنها الشمس. أمّا في الفتح الإسلامي فلم يجبر غير المسلمين في دخول الجيش. ولم يؤخذ منهم إلّا الجزيّة على الذّكر القادر منهم فقط، أما غير القادر فهي تؤمّن له ضروريات الحياة الأساسيّة وهي: المأكل، والملبس، والمسكن، والصحة، والتعليم، والأمن، شأنهم في ذلك شأن أيّ مسلم في الدولة.

واليوم فإنّ حمل الدّعوة في كتلة أوجب الواجبات لإزالة الاستعمار وإخراج المحتل من أرض المسلمين سواء في فلسطين أم في أيّ دولة من بلاد المسلمين حيث القواعد العسكرية، والسجون الأجنبيّة والفِرَقِ العسكريّة، والمستشارين الكفار و....و...

إنّ إزالة الاستعمار وإخراج المحتل يكون بطريقتين اثنتين معاً لا تنفك إحداهما عن الأخرى.

الأولى: بالتخلّص من الدخيل من أفكار الكافر المستعمر وإحلال مفاهيم الإسلام بدلها.

الثانيّة: بقوّة السلاح، وهي القوّة المادّيّة التي يقهر الكافر المستعمِرُ المسلمين بها. لأنّه لا يفلّ الحديد إلّا الحديد. فلا يقابل السلاح بقراءة القرآن، ولا بقراءة صحيح البخاري. ولا بالدّعاء.

والخلاصة إنّ زمان حمل الدّعوة مستمر حتّى قيام السّاعة. فلا مجال للانتظار، ولا مجال للتقاعس، ولا مجال

للتراخي. فإنّها عزّة الإسلام والمسلمين، والجنّة تكمن تحت بيارق السيوف. ومن يرغب بجنّة عرضها السموات والأرض فإنّه يبيع نفسه وماله لله رب العالمين. ومن يتحلّ بالإخلاص الخالص ينجحْ فيما خُلِقْنَا من أجله، ليبلونا ربنا أيُّنا أحسن عملا. والله الهادي إلى سواء السبيل.

لن تُحْمَل الدّعوة...؟!

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ ٢٨: سبأ.

وقال، ﷺ: **(أُمِرْتُ أنْ أقاتل النّاس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلاّ الله فقد عصم منّي ماله ونفسه إلّا بحقّه، وحسابه على الله)**. رواه مسلم عن أبي هريرة برقم ٢٠-٢٣. والنّاس هنا لفظ عام يشمل كل إنسان على وجه الأرض. ويؤيد ذلك قوله ﷺ: **(وكان النبيّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصّة وبعثت للنّاس كافة)**. رواه البخاري عن جابر بن عبد الله برقم (٤٣٨). وفي صحيح مسلم **(أُعطيتُ خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي، كان كلّ نبي يبعث إلى قومه خاصّة، وبعثت إلى كلّ أحمر وأسود)**. رواه مسلم برقم (٥٢١).

إنّ قضية المسلمين اليوم هي إزالة سبيل الكفار عن

المسلمين ثم تطبيق الإسلام. هذه هي القضية المصيريّة التي يجب أنْ يحملها أيّ تكتل يدعو للإسلام لحل مشكلة المسلمين الكبرى. وليست قضية المسلمين الآن هي زيادة عدد المسلمين فقد زاد عددهم على مليارين. ولا نريد أن نزيد السيل زبداً. ثمّ إنّ قول الرسول ﷺ لا يجوز أنْ يحمل على العمل الفردي، أو العمل الحزبي، بل هو عمل الدّولة بدليل سيرة المصطفى ﷺ، فلم يعلن الجهاد إلّا بعد أنْ أسّس دولة في المدينة. أمّا قبلها فلم يقاتل النّاس. وعندما ثمّ توقيع اتفاقية النصرة في العقبة الثانية مع الأنصار عرض النقباء الممثلون وفدُ الأنصار على الرسول ﷺ أن يميلوا على أهل منى صباحاً، فقال ﷺ: **(لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم)** كما ورد في سيرة ابن هشام.

وعليه فإنّ الدّعوة تُحْمَلُ للمسلمين ليعملوا على إزالة حكم ونفوذ الكافر المستعمر في بلاد المسلمين ليتمكنوا من إقامة دولة إسلاميّة تكون نقطة البداية لضم جميع الدّول العربية والإسلاميّة إليها. ولا حلّ لمشكلة المسلمين الكبرى

إلّا بذلك. إنّ ما يعين على ذلك تجده في ما ورد في كتاب فروض وواجبات شرعيّة يستهين بها كثير من النّاس، وهي فروض عشرة. ومنها البيعة الواجبة في عنق كل مسلم لإقامة دولة إسلاميّة، ومنها وجوب المحافظة على وحدة الأمّة.

قال سبحانه: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ النساء. وهو إخبار يفيد الطلب. أي يحرم على المؤمنين أنْ يجعلوا للكافرين سبيلاً عليهم. واستعمار واحتلال بلاد المسلمين هو أكبر سبيل على المسلمين. وهم يُحْكَمُون بنظام كفر وبدساتير لا تمت للإسلام بصلة، بل تحارب الإسلام محاربة صارخة بمنع إيجاد تكتلات على أساس الدين. واستبعاد القرآن والسّنّة أنْ تكون مصدراً للدساتير المعمول بها في بلاد المسلمين.

والخلاصة: إنّ حمل الدّعوة في القارة الوسط، أو ما يطلق عليه الشرق الأوسط يكون للمسلمين القاطنين فيها لإزالة حكم الكافر المستعمر ثم إعلان إقامّة دولة إسلامية. ورب قائل: إنّ العمل لإقامة دولة يتضمن العمل لإزالة حكم

الكافر المستعمر فندعو له بالتوفيق حيث يتوحد الهدف. ومن البديهي بل من المستحيل إقامة دولة إسلاميّة إلا بإزالة حكم ونفوذ الكافر المستعمر المهيمن على مقدرات المسلمين في وقتنا الحاضر. ونحن نعمل في الخطّين معاً.

وعليه فحمل الدّعوة في بريطانيا وأمريكا وروسيا وأوروبا وأستراليا وكندا وأمريكا الجنوبيّة ونحو هذه البلدان هو مضيعة للوقت، وتفتيت للجهد، وإبعاد لتحقيق الهدف. فاعتبروا يا أولي الألباب، ويا أولي الأبصار، ويا أهل الحجا. هدانا الله جميعاً إلى أحسن رشده، إنّه سميع مجيب. اللهم اجعلنا من ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ الزمر.

وإذا لم تحمل الدّعوة...؟!

قال سبحانه وتعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾الأنفال. نداء من ربِّ العزّة للمؤمنين، وهي أعلى صفة تؤثر في الإنسان تأمره أن ينفّذ أمر الله ورسوله، لأنّ الاستجابة تأتي بعد سماع الأمر. وجاء الأمر من اثنين ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ولكن ﴿دَعَاكُمۡ ﴾ جاءت بالمفرد لأن الأمر صدر، ولافرق أنْ يكون من الله أو من الرسول فكله وحي من الله سبحانه وتعالى، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ يحييكم: فعل مضارع له دلالاته الاستمرارية والتوكيد. مع أن المخاطبين أحياء يدل على أنّ العمل المطلوب القيام به هو للحياة الأبديّة في الآخرة. وهناك بون شاسع بين الحياتين، فالدنيا فانية والآخرة خالدة، إلى غير ذلك من الفوارق

يدركها كل مؤمن. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل.

إنّ نداء الذين آمنوا تشمل الذكور والإناث، وفي آية سورة النحل صرح بذكر الجنسين للتفصيل مع الاشتراك بصفة الإيمان ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾. والجزاء هو فلنحيينّه حياة طيبة في الدارين، ولنجزينّهم في الآخرة بأحسن ماكانوا يعملون في الدنيا. ولكن من لم يستجب لهذا النداء ويعرض عن منهج الله ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه. وهذه عقوبة دنيويّة بالإضافة إلى العقوبة في الآخرة. فمن يستجب: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ العنكبوت. أي الحياة الحقيقية وجسّدها بلفظ ﴿ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ لتدل على المعنى الحقيقى للحياة.

والاستجابة المطلوبة هي لكل ما نزل به الوحي. ولكن إذا لم يستجب المؤمن لما ذكّره به حامل الدعوة فما هي العاقبة؟!

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنفال، تحذير لمن يكسل عن الاستجابة لنداء ربّ العزّة وإنذار لمن يتأخر عن تلبية النداء الرّباني بشدة عقاب الله سبحانه وتعالى.

وبعد هذا كلّه قال سبحانه وتعالى في أمر واحد وهو النفير للجهاد ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ التوبة. أي عذاب أليم بالإضافة إلى الاستبدال بقوم آخرين.

وفي آية أخرى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ محمد. والشرط وجوابه في الآية

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾. هو لصدر الآية ﴿ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾. والآية تتعلق بأمر واحد وهو الانفاق للجهاد. لأن كلمة الانفاق إذا قرنت بكلمة في سبيل الله فمحصورة في الجهاد كما وردت في القرآن كلّه.

إنّ استبدال الأمّة التي لا تستجيب لأمر الله هي سنّة الإله الواحد القهار ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفتح.

وإذا كان الاستبدال مع العقوبة في الآخرة وردت في الآيات لمخالفة واحدة، أو لعدم الاستجابة لأمر الجهاد مع ما أُعِدَّ له من ثواب عظيم، أو للإنفاق في الجهاد مع ما أُعِدَّ له من أجر كبير. فما بالك لفروض كثيرة يستهين بها كثير من المسلمين في الوقت الحاضر؟!!!

• روى حذيفة بن اليمان عن رسول الله، ﷺ، قوله **(والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أنْ يبعث عليكم عقاباً ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)**. رواه أحمد والترمذي وحسّنه.

• وروى هيثم قال: **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من قوم يُعْمَلُ فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أنْ يغيّروا إلا يوشك أن يعمهّم الله منه بعقاب)**. أخرجه أبو داود برقم ٤٣٣٨، ٤٣٣٩، والترمذي وابن ماجة، وأحمد.

• روى عَدِيُّ بن عميرة الكندي عن رسول الله، ﷺ: **(إنّ الله لا يُعَذّبُ العامّة بعمل الخاصّة، حتى يروْا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أنْ ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذّب الله الخاصّة**

والعامّـــــة). رواه أحمـد فـي مسـند الشـاميين بـرقم (١٧٧١٨).

- روى أبو داود في سننه باب الأمر والنهي حديث رقم ٤٣٣٧ ما رواه عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله، ﷺ: **(..كلّا والله لتـأمُرُنَّ بـالمعروف، ولتنهـونّ عن المنكر، ولتأخُذُنَّ على يد الظالم، ولتأطرنّه على الحق أطرا، ولتقصرنّه على الحق قصرا، أو ليضربِنّ الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعّنـنَكم كمـا لعنهم)**. رواه الترمذي وابن ماجة من طرق أخرى.

- روى البخاري عن النعمان بن بشير، قال: قال ﷺ: **(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على مَنْ فوقهم، فقالوا لو أنّا خرقنا خرقاً في نصيبنا ولم نؤذ مَنْ فوقنا، فإن يتركوهم وما**

أرادوا هلكوا جميعاً، وإنْ أخذوا على أيديهم نجـوْا ونجوا جميعا). أخرجه البخاري برقم (٢٤٩٣). وَطَرَفَهُ في (٢٦٨٦).

إنّ تقوى الله هي الفاعلة في الأفراد والجماعة والأمّة والدّولة، وإنّ الرّوح الجماعية هي قوام العمل في الأفراد والجماعات والأمّة والدّولة. والمسؤولية لا تقتصر على نفس الفرد بل تتعداه ليحملها لغيره، ويحمل همّ الآخرين **(من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم)**. ولأن الانعزال آفة يُبتلى بها المتثاقلون عن تنفيذ أمر الله، الجاهلون معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ المائدة. أي لا يضرّ المؤمن من ضلّ من الكفار بعد دعوته. روى الإمام أحمد قال: قام أبو بكر الصدّيق رضي عنه الله، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال أيّها النّاس إنكم تقرؤون هذه الآية:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ

أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ ١٠٥: المائدة إلى آخر الآية. **وإنّكم تضعونها على غير موضعها**، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إنّ النّاس إذا رأوْا المنكر ولم يغيروه أوشك الله أن يعمّهم بعقابه)**. رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنّة، باب مسند أبي بكر رقم ١٦ قال أحمد شاكر إسناده صحيح (٣١/١) وأخرجه ابن ماجة برقم (٤٠٠٥).

وخلاصة إذا: إذا رأى النّاس الظالم ولم يأخذوا على يده فإنّ الله يعمّهم بغضبه ويحق عليهم عقابه، والاستبدال وما يترتّب عليه هو عقاب من الله في الدنيا ويضاف إليه العقاب في الآخرة، وهي سنّة الله في القديم وإلى يوم الدّين ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفتح.

ونُذكِّر من يحشرون أنفسهم مع المستضعفين بالصراع في الآخرة بينهم وبين الكافرين الذين سكتوا عليهم

ولم يعملوا على مقاومتهم في الدنيا والوقوف ضدهم. قال سبحانه وتعالى في سورة سبأ: ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾. فيرد عليهم الذين استكبروا: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ فيرد المستضعفون ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾سبأ.

والأمر بالكفر، وجعل الأنداد لله يتمثل في الذين اتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، فطاعة المستكبرين وخضوع المستضعفين لتشريعات المستكبرين، ولم ينكروا عليهم بل ربما شاركوهم في مجالس التشريع بغير ما أنزل الله هو الكفر بعينه، وفيه اتخاذ المستكبرين أنداداً لله بطاعتهم وعدم الإنكار عليهم. ولم ينفع

المستضعفين عذرهم بالسكوت على الظلم ومجاراتهم لقوانين الكفر التي تطبق عليهم في الحياة الدنيا﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ النساء.

ذلكم حال الذين يركنون للواقع، ولحكام فسقة ظلمة يحكمون النّاس بغير ما أنزل الله وصدق الله العظيم ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ هود. ولا يغب عن بالنا لحظة أن المستضعفين الذين لم تقبل أعذارهم هم من المسلمين الذين يصلّون ويصومون ويحجون ويعتمرون ويزكّون ويتصدقون ولكنّ إثم الركون إلى الذين ظلموا رجح على حسناتهم.

وإن إثم من لا يعمل على تغيير المنكر بكل صوره وأشكاله يرجح على حسنات العبادات كلها فلا غرابة إذا

عُذِّبَ في النار بقدر رجحان السيئات على الحسنات. ألم يقسم الرسول ﷺ- كما مرّ في حديث حذيفة بن اليمان- بالله إذا لم يقوموا بفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً ثم تدعونه فلا يستجاب لكم؟!

ألم يحذرنا الله في حديث هيثم من أنّ أي قوم يُعْمَلُ فيهم بالمعاصي وهم يقدرون على أن يغيروا إلا يوشك الله أن يعمّهم بعذابه؟!

وفي حديث عديّ بن عميرة الكندي، ألم يصرح رسول الله ﷺ بأنّ الله يعذب العامّة مع الخاصّة إذا ظهر المنكر بين ظهرانيهم ولم يغيروه وهم قادرون؟!

وفي حديث عبد الله بن مسعود ألم يُقْسم رسول الله بوجوب الأخذ على يد الظالم وأطره على الحق أطرا، وقصره على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب المقصرين على بعضهم ثم يلعنهم كما يلعن المستكبرين في الأرض.

وأخيراً ألم يَرْوِ لنا النعمان بن بشير كما رواه البخاري بأنّ الجماعة التي تعمل على الإضرار بالجماعة إذا تُرِكَت تعمل فيهلكوا ويهلك الساكتون عليهم، واذا منعوهم وأخذوا على أيديهم نجوْا ونجا الجميع؟!

فإذا لم تُؤَثِّر هذه التشريعات الإلهية في المستصعفين وبالمُؤْثِرين الدنيا على الآخرة فماذا يُؤَثِّرُ فيهم؟!!

عن ثوبان، مولى رسول الله ﷺ، قال: قال رسول الله،ﷺ، **(يُوشكُ أنْ تَداعى عليكم الأمم من كُلِّ أُفق كما تداعى الأكلةُ على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله، أَمِنْ قِلَّةٍ بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غُثاءً كغثاء السّيل، تُنْتَزَع المهابة من قلوب عَدُوِّكم، ويجعل في قلوبكم الوَهَن)** قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: حبّ الحياة وكراهِيَةُ الموت). إسناده حسن. رواه أحمد برقم (٢٢٣٩٧). ورواه أبو داود، وفي رواية ثانية عن أبي هريرة عن ثوبان: كراهية القتال.

إنّ هذا الحديث يشي للمسلمين ما سيكونون عليه في مستقبل الأيام وهو وصف واقع فإذا كان المسلمون بمجموعهم يفضلون الدّعة والرّاحة على بذل الأرواح والأموال في سبيل الدّعوة لله سبحانه وتعالى، فسيكونون كغثاء السيل وهذا واقع يحس به ويلمسه كل ذي عينين. ونحن نكتب في هذا الكتاب نرى إسرائيل لليوم التاسع على التوالي تدق بيوت سكان أهلنا في غزّة وتسوّيها بالأرض، وتمنع إمداد المسلمين في غزّة بالماء والكهرباء والوقود، وبالمواد الطبية والغذائية وتهدد بضرب المساعدات بكل أشكالها. وهذا يدل على أنها في مأزق كبير يتناسب مع حجم الكارثة التي تسعى لصنعها في غزّة. إنها تضرب حصاراً كليا على مليونين من المسلمين في غزّة. ولا يتحرك أيّ كيان لنجدة المسلمين في غزة مع أنهم يستنصرون ويصرخون مستغيثين بالكفار وبالمسلمين، ولا مجيب لهذا الدّاعي، مع أنّ النواحي الإنسانيّة تقتضي الاستجابة الفوريّة. ولكن حكام العرب والمسلمين صم بكم

عمى صامتون صمت أبي الهول. مع أنّ الشعوب تتحرق لنجدة إخوانهم وطرد الكافر المحتل من أرض المسلمين. إنّ صمت الحكام يدل على أمرين:

الأول: إنهم خط الدفاع الأول للكافر المستعمر.

والثاني: فشل الدولة القومية المستوردة من الكافر المستعمر الأوروبي. والذي تراجع عن شيء من سيادته للاتحاد الأوروبي. وما دور الجامعة العربيّة؟! إنّه تكبيل الأمّة يظهرها أنّها كغثاء السيل، ولكنها إذا انفجرت فتستعيد ما خسرته في قرون بعقود قليلة. وما المغول إلا مثلٌ نضربه للناس. ولكن هنا لا ينفع العويل والنواح.

فأين حملة دعوة الإسلام ولهم في العراقة قرابة قرن ومنهم أقلّ بقليل أو أكثر بكثير فإذا لم نحمل الدّعوة على أصولها، ونجعلها قضية مصيريّة في حياتنا فلننتظر عقاب الله الشديد مع الاستبدال بما كسبت أيدينا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أرأيتم إذا لم تحملوا دعوة الله على أصولها ماذا يجري؟! أرأيتم نهاية الأمّة التي تقصر بواجبها تجاه أوامر ربها؟ أرأيتم الإثم العظيم الذي يمحق الحسنات ويمحق ما كنتم تظنون أنه سيضمن لكم الجنّة بلا حساب؟! إنّ خير النّاس من يطلبون الموت من مظانه. وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن يستمع القول فيتّبع أحسنه.

الخاتمة

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، الحمد لله الذي جعل خيانة الدين أعظم أنواع الخيانات في الدنيا. لقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾الأنفال. إنّ عدم تنفيذ أوامر الله كما جاءت هي خيانة لله وللرسول، وإنّ عدم حمل الدّعوة التي كلّف الله بها أمّة الإسلام لتكون شاهدة على النّاس بعد سيّدنا محمد ﷺ وحملها الإنسان فكان ظلوماً جهولا بتقصيره في أداء الأمانة على وجهها. والصلاة والسلام على آخر الأنبياء وجعل تقوى الله المقياس لأفضلية البشر ولأكرمهم ولأقربهم منزلة عند الله سبحانه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات. أمّا بعد:

فإنّ هذا الكتاب موجه لكل إنسان يرغب ويسعى لإسعاد البشرية بنظام ربّ العالمين. الذي أُنزل لينظّم علاقات الإنسان الثلاث، مع نفسه، ومع ربّه، ومع غيره من النّاس. وحاجة هذا الكتاب تكمن في الحاجة الماسّة للبشرية جمعاء، وقد عانت منذ قرنين من مصائب وويلات ومفاسد التشريع البشري المتمثل في القيادتين الاشتراكيّة ومنها الشيوعيّة، والقيادة الرأسمالية بوجهها السّياسي الديمقراطيّة والعلمانيّة والليبراليّة. وقد أعلنت الأولى إفلاسها وفشلها في أوائل العقد الأخير من القرن العشرين. وأمّا الثانية فيمكن اعتبار السادس من يناير (كانون ثاني) من عام ٢٠٢٠م هو بداية النهاية للفشل الذريع لهذا النظام الوضعي حيث قام جمهرة من الشعب بتوجيه من رئيس للولايات المتحدة وقتئذ (دونالد ترمب) لاقتحام مبنى الكونغرس، أثناء انعقاد المجلس، أعظم صرح يمثل الديمقراطيّة في العالم. فهذا التاريخ يمكن أنْ يُعَدّ بداية تحول البشرية للبحث عن نظام جديد ليسعدهم ويحوّل

شقاءهم إلى سعادة. نظام وضعي فيه أقل من ٥% يتحكمون بلا رحمة في أكثر من ٩٥% من سكان الأرض. فلا عدالة في توزيع الثروة، ولا قسطاس في الحصول على الثروة، وهو قائم على الاقتصاد لذلك سُمِّيَ بالرأسماليّة وفيه الجشع والفساد والغاية تبرر الوسيلة، فأنتج مجتمعاً متفككا، بلا أُسَرٍ مستقرة..الخ. وقد يُعْمي وَيُصِمّ ما توصلت إليه البشريّة في عهد هذه الأنظمة الوضعيّة منَ تقدم ملموس في العلم والتكنولوجيا الذّكية، ولكن مع الأسف الشديد استخدمت ضد البشرية فأخضعت فوق ٩٥% من البشر لأقل من٥% بأساليب متعددة ظاهرة وباطنة، منها التجسس على النّاس ومنها سلب ما في جيوبهم، وفي قتلهم وتشريدهم، وفي تجارة البشر والمخدرات والجنس، وفي الحروب البيولوجيّة، وفي تهديد البشرية جمعاء بالإفناء الكامل في نهاية المطاف كما هو آيل إليه العالم حسبما يتوقع كثير من المفكرين، من تطور

الحرب الجارية بين روسيا وبين أمريكا وأوروبا في السّاحة الأوكرانيّة.

****

يقول غوردن توماس صاحب كتاب جواسيس جدعون: (إنهم تغلّبوا علينا ليس بقوّتهم وإنما بالثغرات الموجودة فينا). ولذلك علينا أن نفوّت الفرصة على الأعداء بالاهتمام بسد الثغرات الموجودة فينا. منذ قرن قامت حركات وكتل وجماعات وأحزاب لنهضة الأمّة الإسلاميّة، ولكنها لم تفلح بل ساهمت في تمزيق الأمّة وتفككها، وهي تزعم أنها تُحْسِنُ صنعا، وأنّها المنقذ للأمّة التي بلغت ربع سكان العالم ولا تملك رأساً، وليس لها مقعد محترم بين الأمم، بل يتقاذفها أَخَسُّ الشعوب كالكرة، وجلّ الحركات والكتل والأحزاب والجماعات والمنظمات تتبجح أنّها صانعة للتاريخ السراب، والأمجاد الوهمية، فَأُحْبِطَ كثير من المسلمين.

وإن كان المسلمون اليوم قد ورثوا ثروة فكريّة كافية لنهضة الأمّة، بل لنهضة العالم كله، إلا أن مواطن الخلل لا تكمن في الثروة الفكرية العظيمة، بل تكمن في القائمين على هذه الحركات. وهناك قواسم مشتركة كبرى من الخلل بين الأحزاب والجماعات والحركات والمنظمات، على تباين. ونرى من الضروري إبراز أهم هذه القواسم المشتركة من السلبيات في هذه الحركات والأحزاب والجمعيات والتنظيمات لعلّ الأجيال الحاليّة والقادمة تستفيد من هذه الأخطاء لتتلافاها. وإليكها:

أولاً: مفهوم التعدديّة الحزبيّة في الإسلام، من الحركات ما تعترف به نظرياً وتحاربه عملياً. مع أنه مشروع بنص القرآن الكريم. ومن الحركات من أسرفت في العمل به حتى عقدت الخناصر مع الأحزاب غير الإسلامية، بل وخاصمت الحركات الإسلامية. ومن الحركات ما تتنكّر لهذا المفهوم ظلما وعدواناً. ولندنيك من بيان حقيقة هذا المفهوم لابدّ من الرجوع إلى مصادر الإسلام، وأوله

القرآن الكريم. قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ آل عمران. فالخطاب موجه للمسلمين جميعاً. فالكاف في كلمة ﴿مِّنكُمْ﴾ تشمل المسلمين جميعاً. ولفظ (من) تفيد التبعيض. ولذلك لم يَقُل (ولتكونوا). وكلمة ﴿أُمَّةٌ﴾. جاءت نكرة فهي تدل على الجنس أي تفيد التعدد وليس الانفراد. ولو أراد الانفراد لقال (ولتكن منكم أمّة واحدة). ومنطوق الآية واضح لا لَبْسَ فيه. وما تزعم به بعض الحركات أنّها هي المقصودة لا أساس له من الصّحة.

إنّ صفات الحركات الإسلامية التي تنصّ عليها الآية هي:

١- أنّها تدعو إلى الإسلام- ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾. وكلمة الخير من الألفاظ المشتركة. وهنا معناها الإسلام.

٢- أنها حركة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. والمعروف والمنكر من ألفاظ العموم لأنهما ألفاظ محلّاة بالألف واللام (أل). وأعلاهما نصح الحاكم وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. وأدناهما، نصح الأفراد وإماطة الأذى عن الطريق.

وأيّ حركة تدعو وتتخصص بجزء من الإسلام، منها العبادات، الأخلاق مثلاً فإنّها تكون خارج الحركات التي يدعو لها الإسلام. وينطبق عليها قول الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ ٨٥: البقرة. وأيّ حركة تبتعد عن السّياسة، أو تحاربها مثلا تكون قد فهمت الطلب في الآية وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما خاطئاً بعيداً عن الإسلام. أليس الإسلام قد نزل لرعاية شؤون الإنسان من جميع جوانبه؟! أليس فصل الدين عن السّياسة، هو تجريد للإسلام من مضمونه؟!

ثانياً: وثاني القواسم المشتركة الكبرى في خلل الحركات الإسلاميّة القائمة أنّها لا تميّز بين الدّين وبين القائمين عليه، فترى أنها ما دامت تدعو للدّين، فهي الدّين أو الحارس للدين– وهذا الخلل عمليّاً موجود فيها ولا أستثني منها أيّ حركة أو جماعة أو حزب– وإن كانوا قد يتنكّرون لهذا الخلل نظريّاً– وهذا جهل بالدّين سببه العقليّة الضيقة، والتّعصب الحزبي. وبهذا يضفون قداسة الدّين الذي هو من عند الله على الأشخاص الحاملين لهذا الدين. ويتجلى هذا بوضوح عندما يوجّه نقد للرئيس أو للجماعة فيرونه نقداً موجهاً للإسلام.

وهذا ظلم للدّين بهذه التسويّة. وجهل بالإسلام الذي يدعون إليه، وقد يرتّبون على هذا النقد عقوبات إداريّة إذا كان المنتقد أحد أفراد الحزب أو الجماعة. ويعقب ذلك خصومة للمنتقد وقد تتطور إلى عداوة وبذلك تظهر الشرذمة والقوقعة والشّرنقة، ويبدأ الفشل والذوبان. وأمّا على صعيد الأقوال فالكلّ يقول: (كُلٌّ

يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر). أي سيّدنا محمد ﷺ. ولكن عند نقد فكرة، أو سلوك الرئيس أو المسؤول أو الأمير فلا يؤخذ بهذا القول الذي يُسْنَدُ إلى مالك بن أنس رضي الله عنه صاحب المذهب المالكي. ثم يظهر الفكر التبريري، وتسود العقليّة الذرائعية، وتظهر النظرة الساخرة من المحاسِب أو المنتقِد لأنّ الحزب أو الجماعة أو التكتل يتمترس بما يسمى الصواب المحض، والحق المطلق. وهذه آفات خلّفتها الأحزاب المعاصرة. فمن يرد النّجاح والفلاح فعليه أن يتلافى هذه السّلبيّة، ويحذر كل الحذر أن يقع فيها لأنّ عواقبها مدمّرة، لأنها تؤدي إلى اليأس وإلى الإحباط فضلاً عن التشرذم والتقوْقع والتنازع وتفكك الأمّة، وبالتّالي تطول مدّة هيمنة الكافر المستعمر على هذه الأمّة.

ثالثاً: اقتصار الأعضاء بالتثقف بما يصدر عن الجماعة، ومقاطعة ما يصدر عن الآخرين من الأحزاب والجماعات الأخرى، بل أكثر من ذلك مقاطعة ما يصدر عن أيّ

عضو خرج من الحزب أو الجماعة. وكأنّ اطّلاع أيّ عضو في جماعة أو في حزب على ثقافة جماعة أو حزب آخر– رغم أنّ الجميع يدّعي أنه يدعو إلى الإسلام– هو ارتداد عن تلك الجماعة أو ذلك الحزب. والحق في المسألة أن ينظر كل فريق على جميع الثقافات التي يدّعي أصحابها الإسلام. ويقارن ما هو عليه مع ما عليه الجماعات والأحزاب الأخرى حتى يتوصل كل عضو إلى ما هو حق. لأنّ المسلم المخلص لدينه يبذل قصارى جهده ليصل إلى الحق فيتّبعه. فإن النقّاش بين المسلمين هدفه الوصول إلى الحق والأصوب، وليس الهدف مَنْ يتغلّب أو مَنْ يغلب. لأنّ الغايَة هو الله. أيْ مرضاة الله سبحانه. ولكن التعصب الحزبي الأعمى يدفع صاحبه أن يخاصم وقد يعادي كل مسلم لا يحمل الرأيَ الذي تتبنّاه فرقته. أليس يدّعي كل فريق أن الحكمة ضالّة المسلم أنّى وجدها التقطها؟!!

ألا يمكن أنْ توجد حكمة في ثقافة أخينا المسلم في تنظيم غير التنظيم الذي ينتمي إليه؟!

وخلاصة القول: إنّ مقاطعة ثقافة التنظيمات الإسلاميّة الأخرى آفة موروثة منذ أكثر من قرن، عملياً ونظريّاً، وهي مشتقة من سيادة المسؤول على التنظيم، ولو ردّوا الأمر للشرع لوجدوا فيه متّسعاً، ولرأوْا أنّه يُفَضَّل أنْ يطّلع المسلم على أيّ ثقافة تنسب إلى الإسلام، وأينما يرى الحكمة والأصوب يتّبعه، فتتوسع مداركه، وتزداد ثقافته، وتصقل شخصيّته بالعدل والنزاهة. ويعلي شأن عقيدته حيث يجعل السّيادة للشرع وليس لغيره. فتزداد الأمّة تلاحماً، وتقيها شرّ التشرذم والتقوقع. وضيق الأفق، وقصر النّظر. ألم ترد في القرآن أفكار خاطئة وضالّه لأناس ردّ عليهم، وبيّن خطأهم وضلالهم!! إنّ حظر الاطلاع على ثقافات الأحزاب والجماعات الأخرى مع أنها تدّعي أنّها تحمل الإسلام، إنه الحمق بعينه لأنّه يُخَرِّجُ أجيالاً لا تتقن إلا التصفيق للمسؤول

وتكثير الإمّعات في الجماعة أو الحزب ويدخلون فيما نهى عنه رسول الله ﷺ قال: **(ويل للزّربيّة قيل يا رسول الله وما الزّربيّة؟ قال: إذا صدق الأمير، قالوا صدق، وإذا كذب الأمير قالوا صدق)**. رواه البيهقيّ في شعب الإيمان برقم (٨٧٨٣). وكفاهم سوءاً أنْ وصفهم الرّسول بالماشية التي تُساق إلى زريبتها.

رابعاً: فقدان أو ضعف المحاسبة، وتجريم النّقد الذاتي يؤدّي قطعاً إلى الفساد الدّاخلي لأنها سياسة مخالفة للإسلام. لماذا المساءلة من الأعلى إلى الأدنى مشروعة، والعكس ممنوع؟! أليست النصيحة مفروضة ومندوبة لعامة المسلمين ولأئمتهم على سواء؟! أليس النهي عن احتقار النفس في قول الحق جاء عاماً يشمل الأفراد والجماعات؟! هل منزلة سيدّ الشهداء خاصّة أم عامّة لكل من يحاسب وينصح الإمام الجائر ولو أدّى لجريمة قتل الناصح؟!! ما بال القوم يردّون النصيحة؟! أليس فيهم رجل رشيد!!!

خامساً: تعيين المسؤولين في الأعم الأغلب حسب الولاء، أو الجاه، أو المال أو حسب الموجود وليس حسب الكفاءة فيتردى الأداء في التنظيم، ويتعثر السّيْر، ويعوَجّ الصف، ومن يتقِّ الله لا يُعَيّن مسؤولاً إلا حسب الكفاءة لقوله ﷺ: **(من استعمل رجلا من عصابة وفي تلك العصابة مَنْ هو أرضى لله منه فقد خان الله، وخان الرّسول، وخان المؤمنين)**. رواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه. وقالﷺ: **(مَنْ ولي من أمر المسلمين شيئاً، فولّى رجلاً وهو يجد مَنْ هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله)**. ورواه الطبرانيّ والبيهقيّ من حديث ابن عبّاس، رضي الله عنهما.

سادساً: تغليب الرابطة الحزبيّة على الرابطة المبدئية في التّعامل مع الآخرين من المسلمين. وهذه ظاهرة وليست مجرد خطأ في سلوك أفراد. وهذا تراه واضحاً في الأفراح والأتراح وفي جلسات المناخ الحزبي، وفي

الحياة العامّة. وهذا من شأنه أنْ يفتّت الأمة. فضلاً عن أنّ أيّ حركة إسلاميّة تواظب على هذا السلوك الخاطئ، فإنّها مهما كبرت، ومهما عمّرت في الأرض فلن تبلغ غايتها لمخالفتها لشرع الله في هذه الجزئية. والله سبحانه يقول: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ المؤمنون. ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾الأنبياء. وكما فرض الإسلام تكوين جماعات وأحزاب لحمل الدّعوة فقد فرض كذلك المحافظة على وحدة الأمّة، وحرّم التنازع والاختلاف الذي يؤدي إلى تفكك الأمّة، وأمر بالتمسك بحبل الله المتين أي بالدّين لأنه يُجَمِّع ولا يفرّق. والرابطة الحزبيّة تفرّق ولا تجمع. ومن شأن من يعتصم بالله، أي بدين الله، أن لا يخاصم ولا يجافي الحركات الإسلاميّة الأخرى، بل لا يجعل منها عدوّاً لدوداً لأنّ هذا من شأنه إضعاف الأمّة، وتفرّقها. نعم إنّ عقيدة لا إله إلّا الله محمد رسول الله هي روح أيّ حزب وأيّ

جماعة إسلاميّة، وهي نواة أيّ حزب وأيّ جماعة إسلاميّة، وهي سرّ حياة أي حزب وأي جماعة إسلاميّة، قال ﷺ: **(مثل المسلمين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسّهر)**. رواه البخاري ومسلم وأحمد عن النعمان بن بشير. وقال ﷺ: **(المسلمون تتكافأ دماءهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم وهم يد على مَنْ سواهم)**. رواه ابن حجر عن علي أبي طالب في هداية الرواة، وأخرجه أبو داود والنسائي وأحمد. ووصف المسلمين هذا عام سواء أكانوا أفراداً، أم جماعات وأحزاباً لأنّ العقيدة تجمعهم. وأمّا من يجعل الرابطة الحزبيّة تفرّقه عن باقي المسلمين سواء أكانوا أفراداً أم جماعات فإنه يقع في دائرة المحظورات التي تتناقض مع حمل دعوة الإسلام. والرابطة الحزبية ليس لها مكان في الإسلام غير التنظيم الإداري. فقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

الحجر. يشمل جميع المؤمنين في أمّة الإسلام بما فيهم جميع التنظيمات التي تدّعي أنها تدعو إلى الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ٥٤: المائدة. يشمل جميع المؤمنين وجميع الكافرين لأنهما من ألفاظ العموم (المؤمنين الكافرين). فتشمل أمّة الإسلام بأحزابها وجمعياتها وأفرادها ذكوراً وإناثا. فلا محل للرابطة الحزبية في هذه النصوص ولا في غيرها. وكذلك جميع تكاليف الإسلام لأمّة الإسلام دون استثناء. ولذلك فإنّ خطورة الرابطة الحزبية في غير التنظيم الإداري لهي ممزّقة للأمة ممحقة للحسنات لأنها تجافي هدى الله القائم على وحدة المسلمين، أيّ وحدة الأمة الإسلاميّة.

وهناك صفات سلبية غير مشتركة بين التنظيمات الإسلاميّة تفضي إلى العقلية الذرائعيّة فتبرر كل شيء خطأ مما تقع فيه الجماعة أو الحزب. وإن كان الخطأ ظاهراً ظهور الشمس في رابعة النّهار. فمثلاً مهادنة الحاكم الذي

يحكم بغير ما أنزل الله، مقابل أنْ يسمح لبعض أعضاء تلك الجماعة أو ذلك الحزب بالخطابة يوم الجمعة في المساجد والتي تحوّلت إلى مساجد الضرار. والخطبة تُعَدُّ من وزارة الأوقاف التي هي جزء من دولة علمانيّة، ولا يعقل أنّ مَنْ يدين بالعلمانّية يصلح لإدارة شؤون الإسلام في المساجد كما ينبغي. فلا بدّ في هذه الحالة من تنازل عن شيء من الدّين لتوافق المصالح بين الجماعة أو الحزب وبين الدولة العلمانّية القائمة فيقوم الأعضاء بتبرير هذا السلوك الخاطئ الذي يغضب رب العالمين. بل وهناك أفظع من ذلك وهو مشاركة جماعات تدّعي الإسلام بالحكم بغير ما أنزل الله فيدخلون في وزارة أو في مجلس النوّاب، وفي كل وظيفة في الحكم.

وقد تجد حزباً أو جماعة تدّعي الدّعوة للإسلام تعقد الخناصر مع أحزاب أو جماعات غير إسلاميّة، وهذا شرعاً لا يجوز فتنزل الفتاوى تترى لتبرير هذا السلوك الخاطئ بحجة المصلحة في إنجاح ممثلي البرلمان أو في الوزارة

التي تحكم بغير ما أنزل الله. رغم أنّ الاشتراك في الحكم قطعاً حرام قولاً واحداً.

وقد ترى حزباً أو جماعة تتعاون مع المباحث أو المخابرات مقابل أن يحصلوا على تصريح عمل مكتوبٍ أو شفوي. مع أنّ حمل الدّعوة فرض من الفروض الشرعيّة، والإذن من الله سبحانه لا من غيره. وهنا تبرز التبريرات والعقلية الذرائعية. قال ﷺ: **(لا يدخل الجنّة قتّات)** والحديث في صحيح مسلم. **(كان رجل يَنْقُلُ الحديث إلى الأمير، فكنّا جلوساً في المسجد، فقال القوم: هذا ممّن ينقل الحديث إلى الأمير. قال: فجاء حتّى جلس إلينا. فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل الجنّة قتّات)** رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان برقم ١٠٥. والحديث رواه البخاري كذلك برقم ٦٠٥٦ عن حذيفة بن اليمان ولكن فيه: (إنّ رجلاً يرفع الحديث إلى عثمان. فقال حذيفة سمعت النبيّ ﷺ يقول: **(لا يدخل الجنّة قتات)**. وذكره في باب (٥٠) ما يكره من النميمة.

والأدهى والأمرّ أنْ تجد حزباً أو جماعة ينسّق عمله مع الكافر المستعمر لينال حظوة في نشر دعوة مشبوهة في قطر أو أكثر. ويزعم﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾٢: المائدة. وفي هذا قلب لمفاهيم الإسلام رأساً على عقب. فاستمداد العون من الكافر المستعمر لهو الضلال المبين، والإثم العظيم، وتشريع لخيانة الدّين ولخيانة الأمّة. والرّسولﷺ يقول: **(لا تستضيئوا بنار المشركين)**. رواه أحمد في المسند برقم (١١٩٥٤) (٦٠١٥) (٥٢٠٩) ورواه النّسائي عن أنس. والنهي مسلّط على الكيان لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث (بنار المشركين). وكأنّ أمثال هذه الجماعة يجعل الخيانة لأمة الإسلام، والتجسس عليها وجهة نظر مع أنهما من المحظورات قطعاً في الإسلام ليس هنا محل مناقشتها.

أخي القارئ:

لقد أخذت الدّعوة على عاتقها أنْ تقوم لهذه الدّعوة بما يسعها جهدها من خدمة. فلم تجد أقرب إلى الله قبولاً من أنْ تُقَدِّمَ للأمّة ما ينهضها، ويجمع شملها على الصراط المستقيم الذي رسمه لنا ربّ العزّة لإخراج الكافر المستعمر من بلاد المسلمين حتى يتمكن المسلمون من استئناف حياتهم الإسلاميّة. لأنّه لا يتصوّر المسلم أنْ يستأنف حياته الإسلاميّة. بدون دولة، وبوجود هيمنة للكافر المستعمر على بلاد المسلمين.

وسيبذل حملة الدّعوة النّفيسيْن: الوقت والرّاحة، ما حَيُوا من أجل هذه المهمّة لعلّ الله يكتبه في ميزان حسناتها.

إنّ جلّ النّاس اليوم يعيش عيش السائمة والأنعام، بعيدين عن هدى ربهم. يتيهون في بيداوات الجهالة والكسل، لا يطيقون القراءة مع أنّ دينهم بدأ باقرأ، وما لهم من سبيل لتغيير واقعهم. وللنهوض مما هم فيه إلا بترويض أنفسهم على

القراءة، وبالزّهد في الدّعة والوَنَى فجزاؤنا جميعاً عند بارئنا. والويل والثبور لمن يُقَدِّم الإسلام للنّاس صورة مشوهة ممسوخة لا تسدّ نَهْمَةً ولا تَبُلُّ أُوَاماً، بل ربما أدّت إلى نتائج تهوي بصاحبها في النّار سبعين خريفاً، فاتّقوا الله، عباد الله. فالكلّ آيب إلى ربّه فإمّا الجنّة وإمّا النار.

ونرجو أنْ نكون قد وُفِّقْنَا في أن نُدْني القارئ من الحقيقة في حمل دعوة الإسلام على أصولها مُخَلِّفين السلبيات بمقياس الشرع وراء ظهورنا، سائلين المولى أنْ تتحول الأمّة للتحرك بما ينفعها عند بارئها يوم لا ينفع مال ولا بنون، وتغيّر واقعها لتبدأ حياتها، وتزاول عملها الأصلي في قيادة البشريّة كما أراد ربّها، فتنشر الهدى في الأنام وتُخَلِّص العالم من شقاء ما ابتلي به الإنسان من الرأسماليّة التي جاد بها العقل الإنساني بعيداً عن هدي ربّ العالمين. وطوبى لمن يستمع القول فيتّبع أحسنه.

والحمد لله رب العالمين.

دعاء

قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ التوبة.

وقال سبحانه: ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ التوبة.

وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ يونس.

وقال سبحانه: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ الشعراء.

أيّها المسلمون: حيَّ على العمل فإنّ الله بالغ أمره ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ الطلاق.

إنّ الدّعوة إلى العمل يرافقه الدّعاء، والتضرّع إلى ربّ العزّة أن يوفقنا للعمل بصراطه المستقيم ليمكننا من استئناف الحياة الإسلامية ويعيننا على إخراج الكافر المستعمر من بلادنا، إنه سميع مجيب.

اللهمّ اهدنا فيمن هديت، وتوّلنا فيمن توليت، واصرف عنّا شرّ ما قضيت، إنك تقضي بالحق ولا يُقْضى عليك، إنّه لا يعزّ من عاديت، ولا يذلّ من واليت، اللهمّ ارفع مقتك وغضبك عنّا، ولا تُسَلِّط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا. اللهمّ إنّا نشكو إليك ضعف قوّتنا، وقلّة حيلتنا، وهواننا على النّاس، يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّنا، إلى من تكلنا إلى بعيد يتجهمنا أم إلى عدوّ ملكته أمرنا، إنْ لم يكن بك علينا غضب فلا نبالي، نعوذ بك من أنْ تنزل بنا غضبك، أو يحل علينا

سخطك، لك العتبى حتّى ترضى، ولاحول ولا قوّة إلا بك. اللهمّ أعزّنا بالإسلام، وأَعِزّ الإسلام بنا. اللهم ارزقنا دولة إسلاميّة تُعِزُّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها الكفر والنفاق وأهله، اللهمّ ارحم أمّة الإسلام بإقامة دولة الإسلام، اللهمّ فرّج كرب المسلمين بإقامة دولة الإسلام، اللهمّ احقن دماء المسلمين بإقامة دولة الإسلام. اللهمّ إنّا نسألك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلا أنْ تمنّ على المسلمين وتلمّ شملهم بخلافة راشدة على منهاج النبوّة، إنه لا شيء يعجزك في الأرض ولا في السماء. اللهمّ آت نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير مَنْ زكّاها، أنت وليّها ومولاها. اللهمّ لا إله إلّا أنت سبحانك إنا كنّا من الظالمين، اللهمّ إنّا ظلمنا أنفسنا فإنْ لمْ تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين. فإنه لا يغفر الذنبوب إلّا أنت. اللهمّ اهدنا واهد بنا، وأحسن خاتمتنا، وتوفنا وأنت راضٍ عنّا، يا أرحم الراحمين، ربّنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم

الكـافرين. ربّ اغفـر لنـا ولوالـدينا وللمـؤمنين يـوم يقـوم الحساب. اللهمّ آمين. آمين، آمين.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

الدكتور

عبد الرحيم فارس أبو علبة

الأردن– عمان

ت: ٠٧٩٥٠٢٠٨٨٦